

2^{me} Année, No. 54.

Lundi-16-7-1934

بدل الاشتراك عن سنة

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

✱

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩

بالقاهرة

تليفون رقم ٢٣٩٠ | ٥٣٠

الاريسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

✱

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٥٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ — ١٦ يوليو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

obeykandl.com

الدراسة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة

تليفون رقم ٤٠٥٣٠ | ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

✱

الأعلانات يتفق عليها مع الإدارة

السنة الثانية

« القاهرة في يوم الاثنين ٥ ربيع الثاني سنة ١٣٥٣ — ١٦ يوليو سنة ١٩٣٤ »

العدد ٥٤

أحمد زكي باشا



فهرس العدد

صفحة	
١١٦١	أحمد زكي باشا : أحمد حسن الزيات
١١٦٣	ما فعلت الأيام : الأستاذ أحمد أمين
١١٦٥	سمو الفقر : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي
١١٦٨	عيسى العوام : الأستاذ محمد فريد أبو حديد
١١٦٩	من روائع عصر الأحياء : الأستاذ محمد عبد الله عنان
١١٧٣	الامتيازات الأجنبية والضرائب : الأستاذ زكي دياب
١١٧٥	تقابة للأدباء الشبان : أديب كبير
١١٧٧	وفاء الطائر : الأنسة أسماء فهمي
١١٧٩	المدينة المحاجة : الأستاذ خليل هندأوى
١١٨٠	دنيا الأدب : محمد قدرى لطفى
١١٨١	الشيخ مصطفى السفتى
١١٨٢	الشيخ أحمد أبو خطوة
١١٨٣	حسن أفندى عبد الباسط
١١٨٤	الحوى : المغفور له أحمد تيمور باشا
١١٨٤	ابراهيم بك مرزوق
١١٨٤	الشيخ مصطفى سلامة
١١٨٥	الكندى : الأستاذ قدرى حافظ طوقان
١١٨٧	فرحة الألم (قصيدة) : أنور العطار
١١٨٧	بقظة الهوى (قصيدة) : فتى شط العرب
١١٨٨	هنرى دو منترلان : على كامل
١١٩٠	مدام كورى وقصة الراديو : الأستاذ مصطفى محمود حافظ
١١٩٣	طارق الليل (قصة) : الأستاذ أديب عباسى
١١٩٦	المغفل المخدوع (قصة) : م. ك.
١١٩٨	سيوة : كاتن
١٢٠٠	رسائل سائر (كتاب) : زكى نجيب محمود

رحم الله زكى باشا ورضى عنه ! لقد كان علماً من أعلام
هذا العصر ، ورسولاً من رسل هذه النهضة ! وأعلام هذا العصر
ورسل هذه النهضة معلومون معدودون ، لا تريد فيهم المجاملة ،
ولا تنقص منهم المجافاة ، ولكل واحد منهم ناحية من نواحي الإصلاح

ما فعلت الأيام

للأستاذ أحمد أمين

أعز شيء عليه في الوجود دينه ، حياته كلها دين ، ومشله الأعلى رجل ظهرته دين ، وبطائنه دين ، تفتير عينيه في خشوع دليل على أنه قضى شطر ليله في عبادة ومناجاة ، أسبل عليه الدين نوعاً لطيفاً من الرضى بالقضاء والقدر ، فلا بأسى على فائت ، ولا يجزع على ميت ، ولا يستخفه الفرح بخير ، ولا يغلو في الحزن على شر ، راض بما كان وما يكون ، فكل شيء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس ، كل أحكامه صادرة عن دين ، فالرجل الطيب من تدين ، ورجل السوء من لم يتدين ، ويستحيل على رجل أن يكون طيباً إذا شرب كأساً من خمر ، أو لعب لعبة ميسر ، أو ترك صلاة أو زكاة — يوفق دائماً بين أعماله في الحياة وأوامر الدين ، إذا أراد الرياضة ذهب الى سيدى بشر لزيارته ، أو لسيدى جابر لصلاة الجمعة فيه ، أو أخذ جزءاً من « الاحياء » وذهب الى « طابية قايتباي » يخلو فيها بنفسه ودينه وكتاب الاحياء . وإن أراد أن يحفظ شيئاً من الأدب حفظ في نهج البلاغة لأنه يجمع بين البلاغة والدين ، وإن عرضت فرصة في دراسته للغة العربية خرج من اللغة الى الدين ، وانقلب واعظاً لتلاميذه ، حتى استطاع أن يكون منهم فرقة دينية تلتزم الصلاة والصوم وشعائر الدين .

عرفته اتفاقاً ، ولست أدري الآن سبب المعرفة وكيف كانت ، وكل ما أذكره أنى عرفته ، وفي لحظة تحولت المعرفة الى صداقة خب ، فكان من خاصة إخوانى وأقربهم مودة الى قلبي ، يأنس بي وآنس به ، ويفضى إلى بدخيلة نفسه وكامن أسرار ، وكان حبي له مشوباً بعطف عليه ورحمة له ، عطفني عليه ظرف فيه ، وأرافني به رقة حواشيه ، وملاً نفسي رحمة عليه قسوته على نفسه وأخذه لها في كل شيء بالأشد الأحزم ، قد ملك الدين عليه نفسه ، فروعه من كل نعيم خشية السؤال ، وهول عليه كل لذة خوف العقاب ، وغلبت عليه في كل تصرف فكرة الموت مخافة ما بعده ، إن قال له قائل « ولا تنس نصيبك من الدنيا » قال « ثم لتسألن يومئذ عن النعيم » .

على كل حال نعمنا بالصداقة حيناً تساهمنا فيه الوفاء ، وتقاسمنا الصفاء ، أسافر الى الاسكندرية فأرى أول واجب علي أن أزوره ، ويحضر الى القاهرة فيرى أول واجب عليه أن يزورني ، وأكتب

عرفته بالاسكندرية منذ عشرين عاماً ، شاباً رقيق البدن ، ضئيل الجسم ، مسنون الوجه ، شاحب اللون ، أظهر مميزاته الرقة والتواضع والتدين . حيي الطبع ، شديد الحجل ، إن جلس في قوم اعتقل لسانه ، وأطرق رأسه وأرخى عينيه ؛ وإن صدرت منه هفوة أو شيء ظنه هفوة ، تمنى لو ساخت به الأرض ، وظل يحاسب نفسه ويطيّل تأنيبها ، فأثر الانفراد وأخذ الى الوحدة ، واستأنس بالوحشة ، فقلت معرفته بالناس ، وقلت معرفة الناس به ، لا يعرف من العالم إلا مدرسته التي يدرس فيها ، وبيته الذي يأوي اليه ، ومسجده الذي يتعبد فيه ؛ فأما الحياة وشؤونها ، وجدها وهزلها ، وملاهيها وألعيها ، فلا يدري منها شيئاً . لا يجلس في مقهى لأنه يخل بمروءته ، ولا يذهب الى تمثيل أو سينما لأنهما لا يخلوان من امرأة سافرة ، ولا يشتري شيئاً من بقال عنده لحم خنزير خوفاً من أن تكون سكينته التي يقطع بها الجبن والحلوى قد مست الخنزير ، فلا يطهرها مسح ، إنما يطهرها غسل سبع مرات إحداهن بالتراب ؛ ويغض طرفه اذا سار حذر أن تقع عينه على امرأة .

إن رسالة الفقيد الكريم كانت ضرورة من ضرورات الإصلاح في عصر قضى الله أن يبعث فيه مجد العرب ليحيا من حي عن بينة ، فان نهوض الأمة على تاريخ طامس ، وأثر دارس ، ولغة معجمة ، وهيكल منحل ، يكون أشبه بنهوض الكسيح لا يقوم الا ليقع

وقد خُص الفقيد رسالته أجمل تلخيص في ثلاثة أبيات من الشعر أنشأها ثم جعلها زخرف داره ، وصورة شعاره ، ومرجع حديثه . وهي :
وقفت على احياء قومي يراعتي وقلبي وهل إلا اليراعة والقلب
ولى كل يوم موقف ومقالة أنادى ليوث العرب ويحكموا هبوا
فأما حياة تبعث الشرق ناهضاً وإما فناء وهو ما يرقب الغرب
رحمه الله رحمة واسعة . وعوض العروبة والعزبية والاسلام

أحمد الزيات

من فقدته خير عوض .

ومصدر حكمه على الأشياء ما يفعله الاوربيون وما لا يفعلون .
قد يعارض ما يراه من ضروب المدنية مبدأ من مبادئ دينه فيظهر
عليه نوع من الارتباك والحيرة ، ويجمع في القول ويتبين في قوله
الاضطراب بين دين خالط لحمه ودمه شطراً من حياته ، وبين عقل
نزع إلى الحرية في آخر أيامه ، ويشعر بثقل الموقف على نفسه
فيجتهد في تحويل الحديث ، وتغيير مجرى القول إلى حيث يسترد
كامل رأيه ، ومنتهى حريته — هذا عقله ، وأما قلبه فدينه في
رف من رفوفه ، لم يملاؤه ولم يخل منه ، لذلك حرت أن أسميه
مؤمناً أو كافراً ، ماشيته مرة على البحر فرآه جميلاً جليلاً ، ورأى
القمر يسطع عليه بنوره الساحر ، فصاح هذا موضع سجود ،
فصلى على الرمل ، ودعاني مرة إلى ملهى فكان فيه كمن لا يؤمن
بحساب ولا عقاب ، وهكذا تذبذبت حياته بين نزعة قديمة ،
ونزعة جديدة ، ودين نشأ عليه ، ولا دين مال حديثاً إليه ، حيناً
يتحرك دينه الذي في الرف وينتفش حتى يعم قلبه ، وحيناً
ينكمش وينكمش حتى لا يكاد يرى أو يحس

حننت إليه لما بيننا من حب قديم ، ولكن لست أدري
لم لم تتأكد بيننا الصداقة في هذه المرة كما تأكدت من قبل ،
أكان يعطفني عليه دينه وقد رق ؟ أم كان يحنني عليه مافيه من
ضعف — مظهره الحياء والحجل ، وقد قوى فلا حياء ولا
خجل ، أم كانت تؤلف بيننا وحدة فتعددت ، وأسلوب واحد
في الحياة فتفرقت بنا السبل ، لعله شيء من ذلك ، ولعله كل ذلك ،
ولعله شيء غير ذلك ، على كل حال تركته وبيننا ودّ دخله العقل
نخف ، وصداقة جال في نواحيها الفكر ففترت

لقد خليته ، وأنا أفكر في شأنه ، لقد عاش شيخاً وهو
شاب ، وعاش شاباً وهو شيخ — عصي هواه صغيراً وأطاعه
كبيراً ، فليته ولد كبيراً ثم عاد صغيراً ، وليت شعري هو في أي
حاليه أسعد ، أيوم فر من العالم إلى دينه ، أم يوم فر من دينه
إلى العالم ؟ — انه ليمثل في حياته العالم خير تمثيل ، موجة دين تتبعها
موجة الحاد ، وموجة روحانية تتلوها موجة مادية ، وهكذا
دواليك ، وما أدري أيقف صديقنا في تطوره عند هذا الحد ، أم
يعود سيرته الأولى ، أم يختط مسلكاً جديداً لا هو هذا ولا هو
ذاك ؟ الله أعلم ؟

أحمد أمين

إليه ، ويكتب إلي ، ثم عفى الزمان على الصداقة ففترت حرارتها ،
ونحمت جذوتها ، لا لسبب إلا أن الصداقة ككل حي إذا لم تغذ
دائماً بالمقابلة والمكاتبة أسرع إليها الذبول فالفناء .

ثم دارت الأيام دورتها ، وتعرفت في الاسكندرية بانسان
جديد ، فإذا هو صديق القديم ، هو في هذه المرة بدين بطين ،
مطعم الوجه ، ريان السواعد ؛ كنت في أيامي الأولى أقرأ في أرنبه
أنفه وصفاء جبهته آيات السداجة والاخلاص ، وكنت أرى
في وجهه وجلسته عزوفاً عن الدنيا ، وزهداً في الاستكثار منها ،
ورضى بميسورها ؛ وكنت ألح في فتور عينه حياء العذراء وخجل
المحدرات ؛ وكنت أرى في نبرات صوته وحركات جفونه
ونظرات عينه ديناً وورعاً ، فإذا كل ذلك قد استحال كما يستحيل
الماء إلى ثلج ، علمت أنه قد ورث من أبيه فأثرى ، وسمحت لي
الظروف بمخالطته فأدهشني ما رأيت من تغير وانقلاب — رأيت
وقد أطمأ عن وجهه قناع الحياء ، وخلع ربقة الحشمة ، يداخل
الناس ويمارزهم ، حسن الصحبة ، جميل العشرة ، يضرب بسهم
وافر في المفاكهة والتنادر ، جيد القصص ، حسن الحديث ،
لا يأنف من حديث فاجر إذا كانت فيه نكتة حلوة ، كثرت
أصحابه على اختلاف منازعهم وطبقاتهم ، وهو عند كل جماعة منهم
قطب الرحي ، يمزج بأرواحهم ويتصل بقلوبهم ، خير كل الخبرة
بأندية اللهو وما إليها ، يعرف جد المعرفة برامج السينما في كل
أسبوع ، وما يمثل من روايات في كل فصل من الفصول ،
وعنده الخبر اليقين عن كل مغن ومغنية ، وفنان وفنانة أتت من
مصر إلى الاسكندرية تغنى أو تمثل ، ذهب عنه خفر عينيه
وأصبح يتعشق الجمال ويتبعه ، ويحلق فيه ويشتهي ، حلت
المسائل المالية جزءاً كبيراً من عقله فهو كثير التفكير فيها ، له
ديون وعليه ديون ، وله قضايا وعليه قضايا ، وله دفاتر حساب دقيقة ،
وله آمال مالية واسعة

حادثة مرة ، وكان أشد ما أريد استطلاعاً منه أن أعرف
حال دينه الذي كان يملك عليه قلبه وعقله ، والذي كان يغمر حياته
ويسيطر على كل خطوة من خطواته ، فإذا عقله حر شديد الحرية
في تفكيره ، قد تحرر من كل قيد ، يعجب بالمدنية الحديثة
ويستلهمها الرأي ويستوحىها النظر ، ويتخذ عماد منطقته

سمو الفقر

في المصلح الاجتماعي الأعظم

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي

- ١ -

كان النبي صلى الله عليه وسلم على ما يصف التاريخ من الفقر والقلّة ، ولكنه كان بطبيعته فوق الاستغناء ، فهو فقير لا يجوز أن يوصف بالفقر ولا تناله المعاني النفسية التي تعلق بعرض من الدنيا وتنزل بعرض ، فما كانت به خلة تحدث هدمًا في الحياة فيرميها المال ، ولا كان يتحرك في سعي ينفق فيه من نفسه الكبيرة ليجمع من الدنيا ، ولا كان يتقلب بين البعيد والقريب من طمع أدرك أو طمع أخفق ، ولا نظر لنفسه في الحسبة والتدبير لتدرك معيشته فيحتلبها ذهبًا أو فضة ، ولا استقر في قلبه العظيم ما يجعل للدينار معنى الدينار ولا للدرهم معنى الدرهم ؛ فإن المعنى الحى لهذا المال هو إظهار النفس رابية متجسمة في صورة تكبر على قدر من السعة والغنى ؛ والمعنى الحى للفقر من المال هو إبراز النفس ضئيلة منزوية في صورة تصغر على قدر من الضيق والعُسرة .

إن فقره صلى الله عليه وسلم كان من أنه يتسع في الكون لا في المال ، فهو فقير يعد من معجزاته الكبرى التي لم يتنبه إليها أحد إلى الآن ، وهو خاص به ، ومن أين تدبرته رأيت في حقيقته معجزة تواضعت وغيّرت اسمها . معجزة فيها الحقائق النفسية والاجتماعية الكبرى ، وقد سبقت زمنها بأربعة عشر قرنًا ، وهي اليوم تثبت بالبرهان معنى قوله صلى الله عليه وسلم في صفة نفسه « إنما أنا رحمة مهداة »

نحن في عصر تكاد الفضيلة الإنسانية فيه تلحق بالألفاظ التاريخية التي تدل على ما كان قديمًا . . . بل عادت كلمة من كلمات الشعر تراد لتحريك النسيم اللغوي الراكد في الخيال ، كما تقول : السحاب الأزرق ، والفجر الأبيض ، والشفق الأحمر ، والتطاريق اوردية على ذيل الشمس ؛ وأصبح الناس ينظرون أكثرهم إلى أكثرهم بأعين فيها معنى وحشى لو لمس لضرب

أو طعن أو ذبح ؛ وعملت المدنية أعمالها فلم تزد على أن أخرجت الشكل الشعري لأنسانها الغنى ترفا ونعمة واقتنانًا بين ذلك ، من أيسر الحلال إلى الفظيع المتفاحش في الإباحة ، فكانما وضعت المدنية عقلاً في وحش ، فزاغت فيه الطبيعة من ناحيتين ؛ ثم قابلته بالشكل الوحش لأنسانها الفقير ، فكانما نزع عقلاً من إنسان ، فضلت فيه الطبيعة من ناحيتين ؛ وكان مع الأول سرف الهوى ، وكان مع الثانى سرف الحماسة .

وقد أصبح من تهكم الحياة بأهلها أن يكون الفقير فقيراً وهو يعلم أن صناعته في المدنية هي عمل الغنى للأغنياء . . . وأن يكون الغنى غنياً وهو يعلم أن عمله في المدنية هو صنعة الفقر لضميره .

وخرجت من هذا وذاك مسائل جديدة في فلسفة المعاشة الإنسانية التي يسمونها « الاجتماع » ، فسؤال اسمه الاشتراكية يسأل القوة أن تجعل صاحب المال من ماله كالمرأة المطلقة من رجلها . . . وسؤال اسمه الشيوعية يطلب من القوة أن تسلط على كل حى ما يجعله في قواه كصاحب الدار سلط عليه الطغيان فانقلبت داره سجنه ، فهو يتألم من معنى نعمته بمعنى شقائه ، ويكون أغيب له أن روح السجن ليست شيئاً غير روح البيت ؛ وسؤال اسمه العدائية^(١) يأمر القوة أن تجعل الإنسان كالحیوان المستتويغ فيما يجده من طيب وخبيث لا يبالى ذماً ولا عاراً ، وليس إلا أنه يعيش ليموت أكلاً ونوماً . . .

هذا إلى أسئلة كثيرة لو ذهبنا نعدّها ونصفها لطلال بنا القول وكلها عاملة على نزع الشعور العقلى من الحياة لتظهر أسخف مما هي ، وأقبح مما كانت ؛ حتى أصبحت الشمس تمحو ليلاً عن المادة وتلقى ليلاً على النفس ، في حين أن الدين والإنسانية لا يعملان غير بث هذا النور العقلى في الأشياء والمعاني لتظهر الحياة مضيئة ملتمة فتصبح أوضح مما هي في نفسها ، وأجمل مما هي في الطبيعة .

في مثل هذه النزعات المتقاتلة التي صعدت بالفلسفة ونزلت ، وجعلت من العلم في صدر الإنسانية ملء سماء من الغيوم بسوادها ورعدها وصواعقها ، وتركت العالم يضج ضجيج المزعج في قلب

(١) الفوضوية وما هو في معناها من طيش النزعة

هنا ، أى فى الإرادة التى فىك وحدك ، لا هناك ، أى فى الخيال الذى هو فى كل شىء . وهنا ، فى أخلاقك وفنائك التى لاتدفعك إلى طريق من طرق الحياة إلا إذا كان هو بعينه طريقاً من طرق الهداية والحكمة ؛ وليس هناك ، فى أموالك ومعاشك التى تجعلك كاللص مندفعاً إلى كل طريق متى كان هو بعينه طريقاً إلى نهبة أو سرقة . هنا ، فى الروح إذ تشعر الروح أنها موجودة ثم تعمل لتثبت أنها شاعرة بوجودها ، ماضية إلى مصيرها ، منتهية بجسدها إلى الموت الإنسانى على سنة النفس الخالدة ؛ وليس هناك فى الحس إذ يتعلق الحس بما يتقلب على الجسم فهو مهتاج لشعوره بوشك فناءه فلا يحدث إلا الألم إن نال أو لم ينل ، وهو منتهى بجسمه إلى الموت الحيوانى بين آكل ومأكول على سنة الطبيعة الفانية .

أيها الحى ، إذا كانت الحياة هنا فلا تكن أنت هناك

إن الحكيم الذى ينظر إلى ما وراء الأشياء فيتعرف أسرارها لا تكون له حياة الذى يتعلق بظاهرها ولا أخلاقه ولا نظره ، هذا الأخير هو فى نفسه شىء من الأشياء له مظهر المادة وخداعها عن الحقيقة ، وذلك الأول هو نفسه سر من الأسرار له روعة السر وكشفه عن الحقيقة . ولهذا كان فى حياة الأنبياء والحكماء مالا يطيقه الناس ولا يضبطونه إذا تكلفوه ، بل ينخرق عليهم فيكون منه العجز ، وينشأ من العجز الغلط ، ويحدث من الغلط الزلل .

ونظرة نبينا صلى الله عليه وسلم إلى هذا الوجود نظرة شاملة مدركة لحقيقة الانهائية ، يرى بداية كل شىء مادية هى نهايته فى التو واللحظة ، فلا وجود له إلا عارضاً ماراً ، فهو فى اعتباره موجود غير موجود ، مبتدىء منتهى معاً . وبذلك تبطل عنده الأشياء المادية وتأثيرها ، فلا تتصل بنفسه العالية إلا من أضعف جهاتها ، ويجد لها الناس فى حياتهم الشجرة والفرع والثمرة ، وما لها عنده هو جذر ولا فرع . وبهذا لم يفتنه شىء ولم يتعلق بشىء ، وكانت الدنيا تطول الناس وتتقاصر عنه ، وكانت منقطعة النماء وهو ذاهب فى نموه الروحى ، وكأنما هو صورة أخرى من آدم عليه السلام ، فكلاهما لمس بنفسه الحياة جديدة خالية مما جمع فيها الزمن وأهله

كل حى حتى لتذاع الهموم إلى قلوب الناس إذاعة الأصوات إلى أسماعهم فى « الراديو » . . . فى مثل هذا البلاء الماحق تتلفت الإنسانية إلى التاريخ تسأله درساً من الكمال الإنسانى القديم تطيب منه لهذه الحماقات الجديدة ، ولو علمت لعلمت أن درس هذا العصر فى علاج مشاكله الإنسانية هو « محمد » صلى الله عليه وسلم الذى لن يبلغ أحد فى وصفه الاجتماعى ما بلغ هو فى قوله « إنما أنا رحمة مهداة »

هذا المصلح الاجتماعى الأعظم يلقي فقره اليوم درساً على الدنيا العلمية الفلسفية ، لا من كتاب ولا فكر ، ولكن بأخلاقه وعمله وسيرته ؛ إذ ليس المصلح من فكر وكتب ، ووعظ وخطب ، ولكنه الحى العظيم الذى تلتسمه الفكرة العظيمة لتحيا فيه وتجعل له عمراً ذهنياً يكون مُصَرِّفاً على حكمها ، فيكون تاريخه ووصفه هو وصف هذه الفكرة وتاريخها . وما كان محمد صلى الله عليه وسلم إلا عمراً ذهنياً محضاً تمر فيه المعانى الآلهية لتظهر للناس إلهية مفسرة . وكل حياته صلى الله عليه وسلم دروس مفسرة مختلفة المعانى ، ولكنها فى جملتها تخاطب الإنسان على الدهر بهذه الجملة : أيها الحى ، إذا كانت الحياة هنا فلا تكن أنت هناك . أى إذا كانت الحياة فى الحقيقة فلا تكن أنت فى الكذب ، وإذا كانت الحياة فى الرجولة البصيرة فلا تكن أنت فى الطفولة النزقة ؛ فإن الرجل يعرف ويدرك فهو بذلك وراء الحقيقى ، ولكن الطفل يجهل ولا يعرف الدنيا إلا بعينه فهو وراء الوهم ، ومن ثم طيشه ونزقه ، وإيثاره كل عاجل وإن قل ، وعمله أن تكون حياته النفسية الضئيلة فى مثل توثب أعضاء جسمه ، حتى كأنه أبداً يلعب بظاهره وباطنه معاً . .

أيها الحى ، إذا كانت الحياة هنا فلا تكن أنت هناك . أى الحياة فى ذاتك الداخلية وقانون كمالها ، فإذا استطعت أن تُخْرِجَ للأرض معنى مماويها من ذاتك فهذا هو الجديد دائماً فى الإنسانية وأنت بذلك عائش فى القريب القريب من الروح ، وأنت به شىء إلهى ؛ وإذا لم تستطع وعشت فى دمك وأعصابك فهذا هو القديم دائماً فى الحيوانية ، وأنت بذلك عائش فى البعيد البعيد من النفس وأنت به شىء أرضى كالحجر والتراب .

به من الريح المرسلة ، ولكنه لا يدعه يتناسل عنده ، ولا يتركه ينبت في عمله ، وإنما كان عمله ترجمة لأحاسسه الروحية ، فهو رسول تعليمي ، قلبه العظيم في القوانين الكثيرة من واجباته ، وهو يريد إثبات وحدة الانسانية ، وأن هذا الانسان مع المادة الصامتة العمياء مادة مفكرة مميزة ، وأن الدين قوة روحية يلقي بها المؤمن أحوال الحياة فلا يثبت بازائها شيء على شئيتها ، إذ الروح خلود وبقاء ، والمادة فناء وتحول ، ومن ثم تخضع الحوادث للروح المؤمنة وتتغير معها ، فان لم تخضع لم تخضع لها ، وإن لم تتغير لا تتغير الروح بها ، وأساس الايمان أن ما ينتهي لا ينبغي أن يتصرف بما لا ينتهي .

وما قيمة العقيدة إلا بصدقها في الحياة ، وأكثر ما يصنع هذا المال : إما الكذب الصراح في الحياة ، وإما شبهة الكذب ، ولهذا تنزه النبي صلى الله عليه وسلم عن التعلق به ، وزاده بعداً منه أنه نبي الانسانية ومثلها الأعلى ، فحياته الشريفة ليست كما نرى في الناس إيجاداً لحل مسائل الفرد وتعقيداً لمسائل غيره ، ولا توسعاً من ناحية وتضييقاً من الناحية الأخرى ، ولا جمعاً من هنا ومنعاً من هناك ، بل كانت حياته بعد الرسالة منصرفة إلى اقرار التوازن في الانسانية ، وتعليم الجميع على تفاوتهم واختلاف مراتبهم كيف يكون لهم عقل واحد من الكون . وبهذا العقل الكوني السليم ترى المؤمن إذا عرض له الشيء من الدنيا يفتنه أو يصرفه عن واجبه الانساني — أثبت نفسه العظيمة إلا أن ترتفع بطبيعتها ، فإذا هو في قانون السمو ، وإذا المادة في قانون الثقل ، فيرتفع وتهوى ، ويصبح الذهب — وإنه ذهب — وليس فيه عند المؤمن إلا روح التراب .

مصطفى صادق الرافعي

من طمع وشره ، وجاء آدم ليعطى الأرض ناسها من صلبه ، وجاء محمد ليعطى الناس قوانينهم من فضائله ، فأدم بشخصه هو دنيا بُعثت لتتسع ، ومحمد بشخصه هو دنيا بعثت لتنظم .

وماذا يفهم من الفلسفة الأخلاقية النبوية العظيمة ؟ يفهم منها أن الشهوات خلقت مع الانسان تتحكم فيه لينقلب بها إنساناً يتحكم فيها ، وأن الانسان الصحيح الذي لم تزوره الدنيا يجب أن يكون ذا روح يمتد فيفيض عن غايات جسمه إلى ما هو أعلى فأعلى حتى يصبح في حكم النور وانطلاقه وحرية ، ولا ينكمش فيحصره جسمه في غاياته وضروراته فيرتد إلى ما هو أسفل أسفل حتى يعود في حكم التراب وأسره وعبوديته . فالفقر وما اليه ، والزهد هو بسبيل منه ، والانصراف عن الشهوات والرذائل — كل ذلك ان هو إلا تراجع النفس العالية إلى ذاتها النورانية حالاً بعد حال ، وشيئاً بعد شيء ، لتضيء على المادة فتكشف حقائقها الصريحة فلا تبالها ولا تقيم لها وزناً . فبينما الناس يرون الأموال والشهوات مادة حياة وعمل وشعور ، تراها هي مادة بحث ومعرفة واعتبار ليس غير ، وبهذا تكون النفس العظيمة في الدنيا كأستاذ المعلم ، تدخل المادة إلى معمله وهي مادة وفكرة ، وتخرج منه وهي حقيقة ومعرفة ، وعلى أي أحوالها فهي إنما تحس في ذلك المعلم بأصابع علمية دقيقة ليس فيها الجمع ولا الحرص ، ولكن فيها الذهن والفكر ، وليس لها طبيعة الرغبة والغفلة ، ولكن طبيعة الانتباه والتحرز ، وليست في أسر المادة ، ولكن المادة في أسرها ماشاءت .

ولا يسمى فقره صلى الله عليه وسلم زهداً كما يظن الضعفاء ممن يتعلقون على ظاهر التاريخ ، ولا يحققون أصوله النفسية ، وأكثرهم يقرأ التاريخ النبوي بأرواح مظلمة تريهم ما ترى العين إذا ما اختلط الظلام ولبس الأشياء قراءات مجحولة لا تفصيل لها ، مُفرغة لا تبين فيها ، وما بها من ذلك شيء ، غير أنها تتراءى في بقية من البصر لا تغمرها .

وهل الزهد إلا أن تطرد الجسم عنك وهو معك ، وتنصرف عنه وهو بك متعلق ؟ فتلك سخرية ومثلة ، وهي في رأي تشويه للجسم بروحه ، وقد تنعكس فتكون من تشويه الروح بجسمها فليس يعلم إلا الله وحده : أذاك تفسير لانسانية الزاهد بالنور ، أم هو تفسير بالتراب

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يملك المال ويمجده ، وكان أجود

الرسالة في شهور الصيف

تسهيلاً لوصول الرسالة الى قرائها مدة

العطلة تقبل الادارة الاشتراك الشهري بواقع

أربعة قروش عن كل أربعة أعداد تدفع مقدماً

الصليبية - وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب في ذلك الوقت في صراع الحياة أو الموت مع ملوك الفرنج قد بلغ به الجدة أن كان يتمثل بقول عبد الله بن الزبير وهو يصارع الاشر النخعي في موقعة الجمل مصارعة من لا يريد هودة ، إذ قال :

اقتلونني وما لكما واقتلوا مالكما معي
وكان الفرنج قد جمعوا جموعهم وحشدوا حشدهم أمام عكاء ، وجعلوا التغلب عليها مقصد مهمهم . فكان هناك ملوك ثلاثة هم أكبر ملوك أوربا وزعماء فرسانها . وحاصروا المسلمين في ذلك الثغر من قبل البر ومن قبل البحر ، وأتى صلاح الدين من خارج المدينة يحاول رفع الحصار عن اخوانه وجنوده .

واستمرت جنود الجانبين في القتال ، وبذل كل قصاراه في النضال ، وعض على النواجذ من الأضراس . واستطالت بهم الحرب نيفاً وسنتين ، حتى اشتد الأمر بالمحصورين ، وعجز صلاح الدين عن أن يرفع عنهم نطاق الأعداء ، فأخذ ذلك النطاق يتضايق ويشدد ، حتى بلغت الشدة بالمحصورين مبلغاً عظيماً ، وتراخت همه الدفاع من طول الجهد وشدة القتال .

فذهب جماعة من صيادي عكاء ممن درجوا على أمواج البحر ونشأوا على أمواجه ، فعرفوا مداخله ومخارجه ، وبرعوا في اقتحام تياراته وخوض غمراته ، وعرضوا على قادة المسلمين ما في طاقهم من المساعدة في ذلك المأزق . وتساءل القادة ماذا عسى هؤلاء يصنعون في قتال العدو ؟ وماذا تراهم يستطيعون أن يرزأوا فيه ؟ فأقبل عليهم الصيادون يعرضون أن يحملوا الأخبار إلى اخوانهم المحصورين ، وأن يحملوا المال اليهم إذ استحال على السلطان الاتصال بهم ، وقالوا انهم يستطيعون أن يستتروا بجنح الليل فيسلوكوا سبيلهم بين سفن الأعداء سباحة ، فإذا ما تعذر ذلك سلوكوا بينها غاطسين في الماء كما تسلك الأسماك وتسبح الحيتان . وكان صلاح الدين في أشد الحاجة إلى الاتصال بالجنود والقواد الذين يدافعون عن المدينة ، فقبل ما عرض هؤلاء الأبطال ، وكانوا منذ ذلك الوقت لا ينقطع وافدهم من المدينة إلى عسكر المسلمين ، أو من عسكر المسلمين إلى المدينة . وكانوا لا يطلبون في سبيل ذلك جزاء ، إن هو إلا قربان يقدمونه احتساباً ، وواجب يؤدونه عن رضا وسخاء .

عيسى العوام

للأستاذ محمد فريد أبو حديد

وقفت إلى جانب الطريق المسكين وقد فقد المحيطون به الأمل في حياته ، وكان رجلاً نيف على الستين ، ظل يجاهد في عمله حتى وقع وهو يدفع عربته وعليها حملها الثقيل فكان في وقته أجله ، وهو من أهل الصعيد الأعلى كما تم عليه عمامته وسحنته ، إذ كان ثوبه المهمل لا يكاد يماسك في رأى العين ليكون آية دالة على منبت لابس ، فكان موته في جوار البحر الملح موت المهاجر الشهيد ، لا تحيط به عناية أهل ، ولا ترفه عنه شفقة البنين . ومن يدري ماذا كان يعاني ذلك المسكين قبيل ضجعته من آلام تحملها صامتاً ، وجاهد في سبيله وهي تحزه وتطعنه ؟ ومن يدري على أية حال من الضعف كان يدفع بحمله في سبيل القوت ، وسوط الجوع من ورأه يلهب ظهره ؟

ووقف حوله معي جماعة من أهل الساحل بقوامهم السمهرى ولونهم الحمري ، فكانوا يؤدون له تحية الوداع على غير معرفة ، والشفقة بادية في محياهم ، ولم يكن أحدهم خيراً منه بزة ولا مظهرها ، ولكنهم كانوا جميعاً يعرفون كنه ما في هذه الحال من عظمة لأنهم يجاهدون مثله ، ولعلمهم هاجروا مثله من بلاد قصايا في التماس الخبز وما يبلله من رقيق الأدام . « أولئك قومي بارك الله فيهمو »

وانصرفت وفي عيني دمة كما كان في عين سواي من الوقوف شفاقاً على ذلك المسكين ، وجعلت أفكر فيما تدين به الحياة لهؤلاء . هم عدة المسلمين الموعود العمل ، وهم جنود النضال . وأذكرني ذلك التفكير ببطل من هؤلاء الدهاء ذكر التاريخ اسمه ، وأقام له مثلاً هو رمز لمجهولي الأبطال ، فلسنا نعرف أهله ولا منبته . ولا نبيته .

كانت تلك الرجل يعيش في تلك الثغر الشام منة نيف وثمانمائة عام . في أيام النضال الكبير بين الشرق والغرب . أيام الحروب

٢- من روائع عصر الأحياء

حياة بنقونوتو تشاليني مكتوبة بقلمه

مثل أعلى للترجمة الشخصية

للاستاذ محمد عبد الله عنان

وظهر من بينهم « عيسى العوام » فكان أسرعهم سبحا وأجراًهم على الليل والنهار ، وأكثرهم إقداماً على الاخطار . فصار يهتف باسمه ، ويدعى إذا ما اشتد الخطر وادلهم الخطب . وكان هو لا يخيب ظناً ولا يخيم عند دعوة . وكانت بسالته تزداد كلما ضاقت حلقة الحصار . والتأمت فروجه واتصلت سلسلته . فكان أقر لعينه وأثلج ل صدره أن يغوص في شبر بين سفن الفرنج ، أو يسبح على مرمى سهم من نبالهم . وبقي على أداء واجبه مدة حتى طلع يوم ، وانتظر أهل عكاء طلوع عيسى عليهم من ثنايا الموج كعادته ، فلم يتحقق لهم ذلك . وطال وقوفهم وامتدت أعناقهم نحو البحر ، كلما برق لهم شيء ساج ، أو لمع لهم جسم طاف ، أشاروا إليه إشارة الملهوف ، وتوقعوا أن يكون هو عيسى ، ثم تبين لهم أنه حباب الماء أورشاش الموج ، فعادوا إلى ناحية أخرى ، فشدوا إليها أبصارهم ثم لم يلبثوا أن يجدوا خيبة لظنونهم وتكذيباً لأوهامهم . ولما طال بهم الوقوف وملوا الانتظار انصرفوا وفي قلوبهم هلع وتوقع للمحذور ، ولم تخل صدورهم من شكوك ساورتها في أمانة عيسى وديانته . وقديماً كان في الناس الطمع وأعمامهم الجشع ، وقديماً فتنهم حب المال وأغواهم شيطان الغرور . أ يكون عيسى ك بعض من خان وافتتن ؟ أ يكون عيسى ممن خذلهم نفوسهم عندما استطال بها النضال ، وانخلع فؤادهم عندما كفهر الجو وأظلم ؟ لم يرد الله أن يدع تلك الشكوك تساور ذكرى عيسى ، ورحم ذلك الرجل أن يهمس هامس عند ذكرى اسمه بما ثار في صدره من شك ، فتسود بين الناس صحيفة بيضاء عند الله . فأرسل الموج حاملاً جسمه نحو الشاطئ ، فرأى الناس بعد بضعة أيام من غيبته وانقطاعه جثته ملقاة على الشاطئ ، ولا تزال حولها أكياس الذهب التي كان بعث بها صلاح الدين معه إلى المدينة . فرأى الناس عند ذلك جثة شهيد قضى وهو يؤدي الأمانة ، وجاد بالنفس وهو في سبيل الخير والمجد .

رحم الله « عيسى العوام » ! وكم في الناس من مثل عيسى ؟ . غير أن التاريخ لا يذكر منهم أحداً إلا فلتة ليشير إلى أن بين المجهولين آلاف الألوف من أفذاذ الأبطال .

محمد فريد أبو صبر

لم ينعم بنقونوتو تشاليني بالسكينة طويلاً بعد الحوادث العاصفة التي خاضها ، وبعد أن فقد عطف البابا وحمانيته . وفي ذات يوم وقعت مشادة بينه وبين صديق قديم من مواطنيه كان برومة وكان يدينه بشيء من المال ، وسبه ذلك الصديق بألفاظ جارحة ، فغلب عليه عنفه المعهود وضربه في رأسه بحجر فسقط مغشياً عليه . وأبلغ الحادث إلى البابا ، فأمر بالقبض على تشاليني وشنقه في مكان الجريمة . ولكن تشاليني شعر بالخطر الذي يهدده ، واستطاع أن يفر من رومة في الوقت المناسب . وقصد إلى نابولي ، وأقام بها حيناً ، واتصل بدوقها وحظى بعطفه ورعايته ؛ والتقى هناك بحبيته أنجليكا الصقلية . ثم وصله خطاب من الكردينال دي مديتشي حاميهِ القديم يأمره فيه بالعودة سريعاً إلى رومة ؛ فسافر إليها في الحال ومعه أنجليكا ؛ واستقبله الكردينال بترحاب وطمأنه على نفسه وحرية ؛ وبعد أيام قلائل استطاع أن يزور البابا كلنضوس ، وأن يقدم إليه « مدالية » بديعة من صنعه ؛ ثم سأله الصفح والرعاية بكلمات رقيقة ؛ فأعجب البابا بهذه التحفة ، وأمره أن يصنع له تحفاً أخرى تمثل بعض مناظر التاريخ المقدس ، ووعدته بالعفو والرعاية . ولكن البابا لم يعيش طويلاً ليحقق وعده ، ومرض وتوفي بعد أيام قلائل ؛ وحدث على أثر موته ذلك الاضطراب الذي يحدث عادة قبيل انتخاب البابا الجديد ؛ ولبث بنقونوتو يرقب الفرص ؛ ولكنه ارتكب في تلك الأثناء جرماً جديداً ، وقتل رجلاً آخر من رجال البطانة يدعى بومبيو تحرش به ذات يوم بكنيسة القديس بطرس ، فسار إليه ولقيه على مقربة من منزله وطعنه بخنجره بين أصدقائه وأعوانه فألقاه صريعاً . ويقص علينا تشاليني هذا الحادث الدموي وأمثاله في عبارات صريحة هادئة ،

من حانوته ولم يؤد ما عليه ، فطالبه بنقونوتو بواسطة القضاء وحصل على حكم بحبسه ؛ فاستشاط الرجل غيظاً واتصل ببعض أتباع السينور بير لويجي ولد البابا وكان يعرف عندئذ بالدوق كاسترو ، وأفضى إليه أن تشاليني يملك ثروة طائلة من الجواهر ، وأن هذه الجواهر إنما هي من جواهر الكنيسة ، سرقها تشاليني وقت الحصار حينما كان في حصن سانت أنجيلو ؛ وأنه يجب القبض عليه قبل أن يفر مرة أخرى . فأثمرت هذه السعاية ثمرها ؛ وفي ذات صباح جاء ضابط الشرطة مع سرية من الجند الى حانوت تشاليني ، ونبأ الضابط بأنه أخفى سجين البابا ، وأنه مكلف بأخذه الى حصن سانت أنجيلو حيث يعتقل الأكار والرجال الممتازون ؛ ثم أحاط به عدة من الجند ، وجردوه من سلاحه ، ثم اقتادوه الى الحصن ، وهناك ألقى الى غرفة في البرج الأعلى ؛ وكانت هذه أول مرة يذوق فيها مرارة السجن ، وكان يومئذ في السابعة والثلاثين



حصن سانت أنجيلو

كان حصن سانت أنجيلو في ذلك العصر أمتع معقل رومة ؛ ولا يزال الحصن الشهير قائماً على مقربة من قصر القاتيكان وميدان القديس بطرس ، على ضفة نهر تيفري ؛ يشهد بطرازه العجيب ومناعته الخارقة بما انتهت اليه هندسة القلاع في العصور الوسطى من الأحكام والتقدم . ولقد أتيح لكاتب هذه السطور أن يزور حصن سانت أنجيلو مراراً وأن يتجول في أقبية ومخادعه المظلمة ، وأن يرقى الى أبراجه الشاهقة ، وأن يتأمل طويلاً في جنبات ذلك

كأنها حوادث عادية لا خطورة فيها ، ويصور لنا بذلك مبلغ اضطرام نفسه ، ومبلغ استهتاره بالحياة البشرية

وانتخب الكردينال فارنيسي لكرسي البابوية باسم بولس الثالث ، وعهد الى تشاليني بصنع نماذج نقوده ، وأعطاه عهداً بالأمان . ولكن جماعة من خصومه وأصدقاء بومبيو القليل لبثوا يدسون له لدى السينور بير لويجي ولد البابا حتى اعتزم القبض عليه ، ولكن بنقونوتو علم بهذه المؤامرة في الوقت المناسب ففر الى فلورنس ، وأقام بها حيناً يخدع أميرها الدوق الساندرو دي مديتشي . وهناك أصابته حمى شديدة كادت تقضى عليه ؛ فلما برى من مرضه ، عاد الى رومة بعد أن استيقن أنه لم يبق ثمة ما يخشاه من كيد خصومه . وكان البابا يستعد في ذلك الحين لاستقبال الامبراطور شارل كان ، فعهد الى تشاليني بعمل صليب بديع من الذهب المرصع بالجواهر ليهدي الى الامبراطور ، وتحلية كتاب للصلاة ليهدي الى الامبراطورة . ويصف لنا تشاليني هذه الزيارة التاريخية ، وكيف شهد استقبال البابا لامبراطور ، وقدم اليه الكتاب المرصع وخاطب جلالته بفصاحة وجنان ثابت ؛ وكيف عكف بعد زيارة الامبراطور على صقل جوهرة بديعة أهداها الامبراطور للبابا وتركيبها في خاتم بديع الصنع . وكان تشاليني دائماً هائم الذهن والخيال ، يهوى التقل والمخاطرة ، فما كاد ينتهي من صنع التحف البابوية حتى اعتزم تنفيذ مشروع قديم عنده ، هو السفر الى فرنسا

وسرعان ما نفذ عزمه ، وسافر الى فرنسا بطريق سويسرا وألمانيا ، مع خادم فتى يدعى اسكانيو . ولما وصل الى باريس سعى لرؤية فرنسوا الأول ملك فرنسا ، فاستقبله بترحاب في فونتنبلو ؛ وسافر بنقونوتو في ركبه الى ليون ؛ وهناك مرض ولزم فراشه ، وأصابته الحمى فتاه اسكانيو ؛ فكره المقام في فرنسا ، وعول على الرجوع الى رومة ، وغادر فرنسا في أول فرصة ، فوصل الى رومة بعد رحلة شاقة ؛ وافتتح له حانوتاً كبيراً نفخاً ، واستأنف عمله ، واتسعت موارده ؛ ولكنه لم يكن يتمتع بذلك العطف البابوي القديم الذي كان يستظل برعايته وحمايته ؛ وكان القدر من جهة أخرى يهيئ له أروع مفاجأة عرفها في حياته . ذلك أنه كان يستخدم عاملاً من بروجيا ، وكان يدينه ببعض المال ؛ ففر الرجل

الأثر المدهش ، وهو اليوم يستعمل متحفاً حريباً تعرض في طابقه الأول أسلحة العصور المختلفة ، ولكن طبقاته العليا لا زالت خالية تعرض لنا بعض الآثار الغريبة ، وأخصها الجناح الذي كان يسكنه البابوات كلما التجأوا الى الحصن ، وغرفة نوم البابا بولس الثالث وسريته وكرسيه . على أن أروع ما في الحصن مخادعه المنيعة الواقعة في الجهة الخلفية ، وهواياته السحيقة التي تنساب الى أعماق مظلمة لا يدرك غورها . وهناك مخادع معينة ، اشتهرت على كر العصور بمن زج اليها من العطاء والسادة ؛ فهذا مخدع تقول الرواية إنه هو الذي سجن فيه بنقونوتو تشليني ؛ وهذا مخدع تقول إنه هو الذي زج اليه جاليليو ، وآخر زج اليه جوردانو برونو وهكذا ؛ ولقد لبث هذا الحصن المروع عصوراً سجننا لحاكم التحقيق (التفتيش) ، وكان مقبرة لكثير من العلماء والأخبار الذين قضوا نحبهم فيه ضحية المطاردة الدينية ؛ ولا يزال السائح المتفرج يشعر فيه برهبة تلك العصور وروعيتها

زج بنقونوتو تشليني الى مخدع في البرج الأعلى ، لا تزال تعينه لنا الرواية حتى اليوم ؛ ولبت ثمانية أيام منسياً لا يفتاحه أحد بشيء ، وفي اليوم التاسع قدمت الى السجن لجنة من ثلاثة على رأسها حاكم رومة ، ووجهت الى تشليني تهمة اختلاس مقدار من الحلى الرسولية وقت أن كان يعمل أيام الحصار بمدفعية الحصن ، وأسر اليه البابا كليمنضوس أن ينتزع الحلى الرسولية من اطاراتها ؛ وأن قيمة هذه الحلى قدرت بمبلغ ثمانين ألف جنيه (كرونا) ، وأن عليه أن يردّها أو يرد قيمتها ، وإلا فانه يترك ليرسف في سجنه . وعبثاً حاول تشليني أن يقنع اللجنة ببراءته ، وأن الحلى الرسولية مرصودة في دفاترها فلتراجع فيها ، وأن دفاتره رهن تصرف اللجنة لترى أنها في منتهى الدقة ، وأنه قد خدم الكرسي الرسولي بفنه واخلاصه مدى أعوام طويلة ، فلا يحق أن يجزى بمثل ذلك القصاص . ولما نقل دفاعه الى البابا أمر بمراجعة الحلى على قوائمها فوجدت تامة لا ينقصها شيء . ومع ذلك ترك تشليني يرسف في سجنه ؛ وكان البابا يحمله سعى بطاقته ، قد أصبح يرى في تشليني رجلاً شريراً يجب التنكيل به ؛ وزاد حنقه عليه أن رسولا جاء الى رومه من قبل فرانسوا الأول ملك فرنسا يسعى في اطلاق سراح تشليني ، ورد على السفير بأن

تشليني رجل شرير ، لا يستحق اهتمام جلالته . وكان محافظ الحصن رجلاً طيب القلب فلورنسياً من مواطني تشليني ، فعمل على تخفيف وطأة سجنه ، وتركه في الحصن حراً طليقاً يتجول فيه كيفما شاء مكتفياً بعهده ألا يحاول الفرار ؛ وكان تشليني ينفق وقته في التجوال بالحصن وصنع بعض الحلى التي يأتيه بها فتاه المخلص اسكانيو ، وكان يسمح له بزيارته وبأن يحمل اليه ما شاء . ويقول لنا تشليني أنه لم يشأ أن يفكر في الفرار لولا أن حادثاً وقع في السجن وحمل تبعته ، وهو أن قساً زميلاً له سرق منه قطعة من الشمع الذي يتخذ منه نماذج للحلى ، وطبع عليها مفتاح غرفته ليحاول صنعه ثم الفرار فيما بعد ، ولكنه ضبط واعتقد المحافظ أن تشليني شريك في هذا العمل ، فأمر باعتقاله في غرفته والا يبرحها بعد ، وشدد عليه الخناق ، ولم يحله من هذه القيود الا بعد أن أقنعه تشليني ببراءته ؛ وهنا أدرك تشليني خطورة موقفه ، وأيقن أنه سيبقى عرضة لهذه المفاجآت الخطرة ؛ إذا قضى عليه بالبقاء في هذا الأسر ؛ ونمى اليه أيضاً أن البابا يصر على اعتقاله ، وأن مساعي الملك فرانسوا في سبيله لم تثمر شيئاً ، فأخذ يفكر في مصيره ويرى الانجاة له من تلك المحنة الا بالفرار وزاده غمماً على الفرار حادث جديد وقع بينه وبين المحافظ . ذلك أن المحافظ كانت تنتابه في بعض الأحيان أعراض جنون غريب فيتصور أنه ضفدعة أو وطواط ، أو يتصور أنه ميت يجب أن يدفن ، ففي ذات يوم من أيام جنونه سأل بنقونوتو هل يفر ويطير اذا استطاع ، فأجابه بنقونوتو ، أنه اذا أطلقت له الحرية ، فانه يصنع لنفسه أجنحة يطير بها ؛ وعندئذ أقسم المحافظ أنه سيعتقله ككرة أخرى ويشدد عليه الحراسة ؛ وفي الحال نفذ وعيده ، وزج بنقونوتو الى غرفته ، ووضع تحت الرقابة الصارمة . ومن تلك الساعة أخذ بنقونوتو يدبر وسائل الفرار ، وكان خادمه اسكانيو قد حمل اليه أغطية جديدة لفراشه ، فمزقها شراً وجعل منها حبلاً طويلاً ، وكان لديه أيضاً خنجر ، ومقبض حديدي كبير سرقه من نجار الحصن ، فخبأ هذه الأشياء في مرتبته ؛ وبدأ يعمل لانتزاع المسامير الغليظة التي ثبتت بها مفاصل الباب ، ويغطي مكانها بشمع قائم حتى لا يكتشف أمره ؛ وأنفق في هذا العمل جهداً كبير حتى انتهى منه . وفي ذات ليلة اشتدت فيها

فسحبت خنجري وطعنت أحدها طعنة نجلاء جعلته يصيح محتضرا ، فالتف باقي الكلاب حوله ؛ وأسرعت زاحفاً على اليدين والركبتين نحو طريق « القديس بطرس » (الكنيسة) ؛ وكان النهار قد أسفر ، وشعرت بالخطر الذي يهددني . وهنا قابلت سقاء وراء حمارة الحمل بالقرب ؛ فناديتي ، ورجوته أن يحملني الى شرفة سلم القديس بطرس ، وقلت له انني شاب فررت من نافذة صاحبتى ، فكسرت ساقى ؛ ولما كان المنزل الذي اقتحمته منزل أسرة كبيرة ، فاني في خطر القتل ؛ ووعدته بأن أعطيه ديناراً من الذهب وأريته كيسى المنتفخ ؛ فحملني في الحال على ظهره وسار بي الى ميدان القديس بطرس ووضعني عند الشرفة ، وعاد مسرعاً الى حماره »

واستمر تشاليني في زحفه قاصداً الى منزل قريب لأميرة يعرف أنه يستطيع الالتجاء الى حمايتها وهي زوجة الدوق الساندرو مديتشي ؛ ولكن رآه عندئذ أحد حشم الكردينال كرنارو الذي يقع قصره في ذلك المكان وعرفه ، فهرول الى الكردينال ونبأه ، فأمره بحمله . فلما رآه هداً روعه وطمأنه ، واستدعى الطبيب لمعالجه . وزاع نبأ الحادث في رومة ، فاهتز الشعب الروماني دهشة وإعجاباً لهذه الجرأة . وذهب الكردينال كرنارو مع بعض زملائه الى البابا وسأله الصفح عن ذلك الرجل الموهوب ، فأجاب بالعفو ووعد الاثابة . ولكنه طلب الى كرنارو فيما بعد أن يسلمه تشاليني ليقم عنده في أحد الغرف السرية ، فاضطر كرنارو الى تحقيق رغبته لكي يحقق له بعض مصالحه ، وكانت نيات البابا نحو تشاليني غامضة ؛ وحمل تشاليني الى القصر البابوي ، واعتقل هنالك عدة أيام ؛ وفي ذات مساء قدمت الى غرفته سرية من الجنود وحملته الى حصن سانت انجيلو ، وألقته في مخدع صغير يطل على إحدى الساحات الداخلية ؛ وبذا رد الى سجنه المروع كرة أخرى ، وغاضت كل آماله في الخلاص ، وغلبت عليه الروعة والاستكانة . يقول تشاليني : « وكان قبس ضئيل من النور ينفذ الى غرفتي التعسة من ثقب صغير مدى ساعة ونصف في كل يوم ، فلا أستطيع القراءة إلا في هذه الفترة ؛ أما باقي النهار والليل فكنت أمكث صابراً في الظلام ، لا يفارقني التفكير في الله وفي ضعفنا الانساني . وكنت على يقين من أنه لن تمضي أيام قلائل حتى أقضي نحبي في

النوبة على محافظ الحصن واجتمع حوله معظم الحرس ، اعزم أمره . ويصف لنا تشاليني فراره في عدة صحف ساحرة رائعة كنا نحب أن ننقلها بنصها لولا ضيق المقام . وقد بدأ بأن دعا الله بحرارة أن يرعاه وينقذه . ثم رفع مفاصل الباب وعالجه حتى استطاع الخروج ، وثبت الحبل المصنوع من شرائح الأغصنة بنتوء في سور البرج وأدلاه ، وعاد فرفع بصره الى السماء قائلاً : « رباه ، إنك تعلم عدالة قضيتي ، فاشملي برعايتك » ؛ ثم أمسك بحبله وتدلى حتى وصل الى الأرض من ذلك العلو الشاهق ؛ وظن أنه غداً حراً طليقاً ، ولكنه كان في الساحة الداخلية يفصله عن الخارج سوران كبير . بيد أنه لم ييأس ، ورفع قطعة كبيرة من الخشب كانت ملقاة هنالك على السور الأول وتسلقها حتى القمة ، ثم تدلى بحبل صغير كان معه الى الساحة الأخرى ؛ وهنالك رأى أحد الحراس على مقربة منه فاعزم أن يسحقه ، وقصده شاهراً خنجره ، ولكن الحارس ولاه ظهره ؛ ثم تسلق السور الآخر ؛ وهنا خائنه قواه قبل أن يصل الى الأرض فسقط من ارتفاع ، واصطدمت رأسه بالأرض وأغمى عليه ، ولكنه كان عندئذ خارج الحصن . يقول تشاليني « وقد كاد النهار يسفر ، فهب على الهواء الصبوح الذي يسبق بزوغ الشمس ، ورد الى حواشي ؛ ولكن صوابي لم يعد تماماً ، وخيل لي أن رأسي قد فصل ، وأنني انحدرت الى عالم العدم ، ثم عادت الى قواي شيئاً فشيئاً ، وأيقنت أني غدوت خارج الحصن ، وتذكرت في الحال كل ما وقع ، وشعرت بجرح رأسي قبل أن أشعر بكسر رجلي ، وذلك حينما مسستها ، ورأيت يدي قد خضبتا بالدماء ، بيد أنني رأيت بعد فحصها أن الجرح لم يكن خطيراً . ثم أردت النهوض ، وعندئذ رأيت ساقى قد كسرت مما يلي الركبة ؛ ولكني لم أياس ، واستخرجت خنجري من غمده وألقيت الغمد ، لأنه كان ينتهي بكرة كبيرة ، وهي التي اصطدمت بساقى وكسرتها ، وقطعت بخنجري قطعة من القماش وضمدت ساقى ؛ وأمسكت خنجري بيدي وزحفت على أربع نحو باب المدينة ؛ وكان الباب مغلقاً ، ولكني رأيت تحتة حجراً ، فأزحته فتحرك ، فدفعته ونفذت من الخرق الى داخل المدينة . وكان بين الحصن والمدينة نحو خمسمائة خطوة ؛ ولما دخلت المدينة هجم على عدة من الكلاب ، وأخذت تلاحقني وتعضني عضاً أليماً ،

الامتيازات الأجنبية والضرائب

للأستاذ زكي دياب المحامي

عبثت الامتيازات ولا زالت تعبت بمرافق الدولة العامة ،
ووقفت في سبيل نموها عقبة ليس من اليسير تذليلها إلا على الأيام .
وأثرت فيما أثرت على التشريع المالي تأثيراً بالغاً ، وددت لخطورة
شأنه أن أفرد له هذا الفصل .

إن المبدأ العام الذي يحكم تشريع الضرائب في البلاد المتمدينة
هو وجوب قيام كل فرد يقطن الأقليم بقسطه في الضريبة التي
تفرض ، بغض النظر عن تباين الجنسيات . تلك هي القاعدة العامة
التي يأخذ بها الشارع والتي تقتضيها حكمة التشريع . وهي تستند
على فكرتين أوليتين : محلية الضرائب ، وعمومية الضرائب .
والأولى بدورها تعتمد على الحقيقة المعروفة القائلة بأن سيادة الدولة
محدودة في نطاق أقليمها . وعماد الفكرة الثانية ضرورة تحمل
كل فرد نصيبه من التكاليف العامة ، حتى تقوى الدولة على إنجاز
المشروعات الكبار التي تضطلع بها .

والآن وقد أوردنا المبدأ العام متعجلين ، نقول في أسف شديد
إن مصر أكرهت تحت عبء الامتيازات على عدم التمشي مع

هذا المكان وفي هذه الظروف . بيد أنني كنت أروح عن نفسي
ما استطعت ذاكرة أن الموت بضربة من سيف الجلاد أشنع من
ذلك وأفظع ، هذا بينما أستطيع الموت هنا هادئاً كأني في غفوة
النوم . وشعرت شيئاً فشيئاً أن لهب حياتي يخبو ، حتى اعتاد
جسمي البديع على ذلك الانحلال ، وحتى شعرت أنه اطمأن الى
تلك الظروف التعسة ؛ واعتزمت أن أحتمل آلام المروعة في
سكينة وجلد ما بقي لي شيء من قوة الاحتمال . وكان ذلك لعام
ونصف من اعتقاله الأول ، أعني في منتصف سنة ١٥٣٩ .

« الخاتمة تأتي »

محمد عبد الله عنانه
المحامي

ذلك المبدأ الذي أخذ به العالم كله ؛ فالأجانب معفون أصلاً من
الضرائب إلا اذا وافقت دولهم سلفاً . وقد استطاعت مصر أن
تحصل على هذه الموافقة بعد جهود كبيرة بالنسبة لأربعة أنواع من
الضرائب يسوى في جبايتها بين الوطني والأجنبي وهي : —
أولاً : الرسوم الجمركية ، والضرائب التجارية المفروضة
طبقاً للمعاهدات التجارية . فللحكومة أن تفرض من هذه
الضرائب ما تراه لازماً كضريبة الكحول .
ثانياً : ضريبة الأراضي طبقاً للفرمان العثماني الصادر بتاريخ
٧ صفر سنة ١٢٨٤ ، وهو الذي خول لهم بمقتضاه حق تملك
العقار .

ثالثاً : عوائد المباني طبقاً لاتفاق لندن سنة ١٨٨٥ ، وللدكريتو
الخديوي الصادر في ١٣ مارس سنة ١٨٨٤ .

رابعاً : عوائد مجلس بلدي اسكندرية طبقاً للمادة ٣١ من
الدكريتو الخديوي المؤرخ ٥ يناير سنة ١٨٩٠ .

فاذا ما حصلت الحكومة من أحد الأجانب رسوماً أو
ضرائب في غير نطاق ما ذكرناه ، كان له الحق في طلب استردادها
أمام المحاكم المختلطة ، التي تحكم طبقاً للمادة ١١ من لائحة ترتيبها
فيما يخص حقوق الأجانب المكتسبة بالمعاهدات .

وفي الطريق الذي استطاعت به مصر أن تحصل على موافقة
الدول على تلك الأنواع المذكورة من الضرائب تفصيل رأيت أن
أبسط شيئاً منه :

وافقت الدول الأجنبية على سريان قوانين الضرائب على
رعاياها فيما يتعلق بالضريبة العقارية على الأراضي الزراعية ، والضريبة
العقارية على أراضي البناء ، وهما نوعان من الضرائب المباشرة .

أما عن الضريبة العقارية على الأراضي الزراعية فلم يكن
يسمح قبل القرن التاسع عشر لأجنبي ما أن يملك عقاراً في الدولة
العلية . ولم يعف الأجانب من هذا الحظر إلا عند ما حل عام ١٨٦٧
إثر مفاوضات طويلة . على أنه بالرغم من ذلك المنع السابق ، اعتاد
الأجانب أن يسلكوا طرقاً ملتوية *moyens derournés* للحصول
على تلك الملكية المحرمة ، فكان الواحد منهم يبتاع الأرض
باسم شخص متجنس بالجنسية التركية . وازاء ذلك رأت الدولة

ولا عجب فلقد ذهبت المحاكم المختلطة مذهبهم وعززت وجهة نظرهم في أحكامها ، فقررت أنه برغم إطلاق النص في قانون ٧ صفر وشموله الضرائب العقارية عن الأراضي بنوعيتها ، فإن العرف قد أكسب الأجانب حق إعفائهم من الضرائب على أراضي البناء . ونحن لا يكفيننا إزاء الدور الذي تلعبه المحاكم المختلطة في موضوعنا هذا أن نمر سراعاً على حكم لها ، بل سنبين فيما بعد أكثر أحكامها معلقين على بعضها عندما نرى ضرورة لذلك .

وأخيراً وبعد لأي وافقت الدول على تطبيق دكرتو سنة ١٨٨٤ المتعلق بالضريبة على الأراضي المبنية على رعاياها ، وكانت تلك الموافقة سنة ١٨٨٥ .

هاتان الضريبتان المباشرتان يخضع لهما الأجانب حالاً في مصر بعد الجهود المضنية التي بذلت للموافقة عليهما وبخاصة للموافقة على ضريبة المباني ، فمن انكار تام لمشروعيتها ، الى عبث بالنص صريح ، الى أحكام منتقدة تصدر من المحاكم المختلطة ، ولا أرجع أنا هذه المحاورات والتمحل من الطرف الأجنبي الا الى رغبة كمينه في النفس الأجنبية تدفعها دائماً الى أن تجعل في يدها جماع الحقوق وأكثر المنافع .

ولسنا في حاجة الى أن نبين كيف وافقت الدول على النوعين الآخرين من الضرائب ، فلقد سحلت دكرتو ٥ يناير سنة ١٨٩٠ في المادة ٣١ منه الأجانب عبء عوائد مجلس بلدى الاسكندرية ، شأنهم في ذلك شأن الأهالي ، لما لبلدية اسكندرية من شخصية معنوية ممتازة ، ونظراً لتمثيل الأجانب فيها تمثيلاً صحيحاً . أضف الى ذلك كثرتهم في الشجر ، فلو تخلصوا من عبء الضرائب فقدت بذلك البلدية مورداً هاماً .

وللحكومة المصرية بما تبرمه من معاهدات تجارية مع الدول الأجنبية أن تفرض الضرائب التجارية والرسوم الجمركية .

أما المحاكم المختلطة فلقد لعبت دوراً خطيراً في الموضوع ، فكلما همت الحكومة راغبة في فرض ضريبة جديدة حال بينها وبين ما تبني عدم اعتراف المحاكم المذكورة بحق الحكومة في فرض ضرائب جديدة تُحمّل بها الأجانب فلا تستطيع

العلية أن تضع حداً لتلك الحال ، فأباحت تحت تأثير هذا العامل الملكية العقارية لكل فرد ، بغض النظر عن تبين الجنسيات . ولقد تعرض الحظر الهايوني الصادر سنة ١٨٥٦ لهذا الموضوع ، فنص صراحة على إباحة الملكية العقارية للأجانب في أراضي الدولة وولايتها ، على أن يدعن هؤلاء الملاك لما يفرض على الجميع من التكاليف المالية ، فاستووا بذلك مع الأهالي .

ولكن حركة الإصلاح لم تنجح ، إذ تأجل نفاذ هذه النصوص الصريحة ؛ فحاول الباب العالي بعد ذلك مرة أخرى أن يخضع هؤلاء الأجانب للوائح والقوانين التي تسرى على الملكية العقارية ، وطلب ذلك مُلحاً ، فأجابه الدول الى ما طلب بقانون صدر بتاريخ ١٠ يونيه سنة ١٨٦٧ الموافق ٧ صفر سنة ١٢٨٤ ، وسمح للأجانب أن يكونوا ملاكاً عقارين للأراضي الزراعية في الدولة العثمانية ، وألزموا بالقيام بكافة الفرائض المالية على الأراضي الزراعية - أسوة بالوطنيين - في أى صورة تتشكل بها تلك الفرائض ولقد خول الأجانب في مصر حق تملك الأراضي وكلفوا في الواقع بضرائبها قبل أن يُسن قانون ٧ صفر ومن قبل أن يسمح لهم بالملكية في تركيا . ذلك أن الأجانب الذين حازوا في مصر ملكية عقارية لم يفكروا في منازعة الحكومة المصرية في حق كانوا يرون من الطبيعي الخضوع له ، فكانوا يعتبرون الضريبة ديناً على الأرض نفسها لا على مالِكها (دوروزاس ص ٤٦٥) ، ومن أجل ذلك كان غير صحيح القول - كما يرى دوروزاس - بأن فرمان ٧ صفر هو الذي قرر الضريبة العقارية على الأجانب في مصر . تلك هي الأدوار التي مر بها تشريع الضرائب العقارية على الأراضي الزراعية وخضوع الأجانب لها .

أما الضرائب العقارية على أراضي البناء فقد قبل الأجانب سداد الضرائب العقارية عن الأراضي الزراعية بعد اقتناع وتسليم بوجاهة الطلب . ولكنهم رفضوا جميعاً الوفاء بضريبة أراضي البناء حتى بعد صدور فرمان ٧ صفر الذي صادقت عليه الدول ، والذي تقضى مادته الثانية بالزام الأجانب بالضرائب على الأراضي الزراعية والأراضي المبنية . وفي انكار هذا الحق وعدم النزول على ارادة القانون تحميل ثقل للنص الصريح .

نقابة للأدباء الشبان

لأديب كبير

أخرج اليوم من معتزلى إذ سمعت نجة حسبتها نجة معركة
حرية ، وتحركت نفسى لمراى ميدان تلك الضجة ، فعز على أن
أرى الصرعى يئنون من الألم وجراحهم تجرى بالدماء ، وأن أرى
العالمى تزار ، وترغى وتزبد ، وسيوفها تقطر من دماء ضحاياها ؛
وعولت على أن أنزل الى الميدان لألقى فيه نصيبى من الأذى إذا لم
يتح لى أن أنصر ضعيفاً أو أنتصر لمظلوم .

وقد يحسب قارى أنى أهزل فى قولى — ولا بأس عليه إذا
هو ظن ذلك — فانى لا يضيرنى أن يحسب قارى أنى أهزل ،
مادام لا يظن فى أنى أسخر منه أو من سواه ، فانى لا أحب أن
يظن أحد فى أنى أسخر منه ، فان السخرية مُمرّة الطعم ، وقد
ذقتها فوجدت قبجها فوق كل قبج .

ولكنى مع ذلك أرجع الى نفسى فأقول : إننى لا أخشى
من أن يظن أحد فى أنى أسخر ، فقد طالما سخر كبار الأدباء
من قرائهم ، ولا يزيد قرائهم مع ذلك إلا إعجاباً بهم ؛ بل إن
بعض شيوخ الأدب قد زاد وبرز فى ذلك الباب إلى أن قال لقرائه
فى صراحة عجيبة إنه يسخر منهم ، وإنه عالم بأن القراء لا يعجبون
بالكاتب الأديب أشد الإعجاب ، إلا إذا تفنن فى السخرية بهم .
فلا بأس على إذن إذا حسب أحد القراء أنى ساخر ، فانى قد
أصل بذلك الى إعجابه وإكباره .

وإنى هنا قاصد الى الأدباء الشبان أدعوهم الى اتباعى والأخذ
برأى ، بعد أن شهدت صراعهم فى النضال الأخير مع مشيخة
الأدب وكباره . وقد يقول قائل وكيف تجعل نفسك بين الشبان
وقد بلغت من السن فوق مبلغ الشبان ؟ ولكن ذلك القول لن
يشينى ، فانى لا أردع بمثل هذا العنف ، وإنى لا تزال فى بقية
من الشباب تكفى لأن تبرر مدخلى فيهم وانخراطى فى سلكهم .
على أن الأديب لا يعد شاباً إذا كانت سنه من الشباب ، فان
الشباب والشيخوخة فى الأدب لها اصطلاح خاص واعتبار موضوع .
فالأديب الشاب هو الذى لم يبلغ من الشهرة مبلغاً مذكوراً ولو كان
قد نيف على الحسين ؛ والأديب الشيخ هو من ضرب اسمه فى

ازاء ذلك شيئاً . فلا بد من موافقة الدول سلفاً ، ويجب أن توافق
هى مقدماً على كل ضريبة مستحدثة . وكل اجراء مالى سن به قانون
أو شرع فى سنه وكان يلقى على عاتق الأجانب عبء ضريبة
أو فريضة مالية أيا كان نوعها .

ووقف قرار الجمعية العمومية بالمحكمة فى سبيل فرض ضريبة
السيارات التى شرعت الحكومة فى سنها أخيراً ورأت أن
الحكومة تريد بذلك أن تفرض نوعاً مستتراً من الضرائب
العقارية على الأجانب لأن تلك الضريبة كما تراها هى رسوم لاستعمال
الطريق العام .

وأخيراً وبعد جهود عادت فأقرتها . وقضت تلك المحاكم فى
القضية التى رفعها الفيكونت روفونتارس سنة ١٩١٢ بأن الضرائب
التي تفرضها مجالس المديريات للصرف منها على المنافع العامة ليست
خاضعة لشروط موافقة الجمعية العمومية المقررة فى مادة ٢٤ من
القانون الصادر فى أول مايو سنة ١٨٨٣ .

وقضت كذلك فى عدة قضايا ، منها قضية شركة سكة حديد
القاهرة الكهربائية ، وقضية أوجست قساجيه ضد مديرية البحيرة .
وترى المحاكم المختلطة أيضاً فيما يتعلق بالأشخاص المعنوية أنها
إن كانت مؤلفة من الأجانب تخضع للضرائب المباشرة التى تقررها
الحكومة المصرية على الأشخاص الطبيعيين المصريين .

وخلاصة القول أن المحاكم المختلطة انتهت الى التفريق بين
الضرائب المباشرة وغير المباشرة ، فهذه الأخيرة يجوز فرضها ،
أما الأولى فيجب لفرضها موافقة الدول ، على أن ذلك القيد قديم
نشأ نتيجة لعرف فاسد منتقد لا نتيجة نص صريح .

ومما يستنبط من ذلك أيضاً ومن مجموعة الأحكام التى لم نشأ
أن نورد كل ما لدينا منها أن للحكومة أن تفرض ضريبة مباشرة
أو غير مباشرة على رعايا الدول غير المتمتع بالامتيازات ، وعلى الشركات
المساهمة المؤسسة فى مصر وقد حكم بأن جنسيتها مصرية ولو كان
أعضاؤها أجانب ، وإن كانت تشملها فى حالة تقاضيتها نظرية الصالح
المختلط . ولكن ذلك لا يزيل مالها من صفة مصرية يظهر أثرها
فما يتعلق بالضرائب .

فهاموا الى العمل أيها الأدباء الشبان .

وإني منذ اليوم أجعل نفسي ردها لمن يدخل منكم نقابة الأدباء الناشئين أدفع عنهم عادية الشيوخ ، وأقف دونهم إذا مسمع أحدهم يزأر أو يزجر ، أو اذا مارؤى بعضهم يرغى أو يزبد ، ولست أقف هذا الموقف لأنى آنس فى نفسى قوة فوق قوة الشاب أو قدرة على الدفاع لم يؤتها سواى منكم معشر مساكين الأدباء ، بل أقف موقفى هذا متدربا بدرع قلدت فيه بعض شيوخ الأدباء ، فقد رأيت أحدهم عفا الله عنه ، وزاده بسطة فى الأدب ، وأمتع به بابى الجد والفكاهة فى الكتابة ، وحفظ عليه دهاءه وبهاءه — ولا مؤاخذه اذا لم يسعفى الخاطر الكليل بسجعة خير من تلك — أقول رأيت ذلك الصديق القديم قد لجأ إلى حيلة خلقها له عقله القوى ، وهى أن يبدأ نزاله وطعانه بأن يتبرأ من كل ما كتب فى الماضى وما يكتب فى الحال والاستقبال من نثر ونظم ، ومن جد وفكاهة . فاذا ما وثق من أن الناس انخدعوا بذلك واعتقدوه ، أقبل على المسكين أو المساكين الذين اختارهم لطعانه فما زال يحزهم ويضحك ، ثم يطعنهم ويضحك وهو يتسلى بما يراه من عنف حركات مساكينه وعلو صراخهم . فاذا مادفع الألم أحدهم إلى الدفاع أو الانتقام وسدد طعنته إلى عضو من أعضائه قال له ثابتاً غير منزعج « ومن أدراك ان هذا العضو يهمنى أمره ؟ ومن قال لك أنى أعبا بطعنتك لى فى هذا الموضع أو ذاك ؟ » فيصدق المسكين وتنفجر عيناه بدموع الحنق والعجز ظناً منه أن هذا المنازل متحصن فيما لامطمع فيه ، ثم يرمى بحرته أو سهمه ، ويعدل عن انتقامه ، وتلك حيلة فطنت لها دون سواى من الأدباء ، وستكون لى عدة فى نزال الدفاع عن أفراد النقابة إذا ما التأم أمرهم ، وتم اجتماعهم ، فاذا هم جعلونى نقيبهم جعلت نفسى فداءهم ، ولن يصيبنى بفضل حيلة صديق الشيخ أذى ولا ألم ، وسأجعل همى أيها الأدباء الشبان إذا ما وفقكم الله إلى اختيارى زعيماً لكم أن أقوم فيكم بدعوة أو « دعاية » كما يقول بعضهم تكون لكم فيها بركة ان شاء الله ، وذلك أن أنصح لكم أن تقللوا من الاهتمام لما ينالكم من وراء ما تؤلفونه ، وأن تقفوا من مؤلفاتكم موقف الناظر « المتفرج » لتروا ما يقول الناس فيها ، ولكم الحق فى أن تضحكوا ملء أفواهكم من سواكم سخريه إذا رأيتم أنه لم يوفق الى فهم ما فى مؤلفاتكم من جمال أو حقيقة

الخافقين ولو لم يكن ممن بلغوا سن الثلاثين أو الأربعين . وعلى هذا فأنا شاب فى عرف الأدباء ، لأننى بحمد الله قليل الحظ من ذبوع الاسم ، بل أكاد لا أسمع اسمى يذكره ذاكر إلا فى أمر من أمور هذه الدنيا البعيدة عن عالم الأدب ، ولقد حبيب إلى الحمول والبعد عن الشهرة منذ اقترن ذلك الحمول باسم الشباب ، فانى كنت دائماً أحب الشباب واسم الشباب ولو كان مقترناً بالذم ؛ وقد كان لى صديق — عفا الله عنه — عرف فى ذلك الطبع ، وكان يحلوه أن يشتمنى ؛ ولكنه مع ذلك كان حريصاً على مودتى ، فدفعه خبثه الى أن يجعل سبابه لى مقترناً باسم الشباب ، فكان اذا رآنى بدرنى بقوله : « ما هذا الذى فيك من طيش الشباب ؟ » وقوله : « إنك تظهر فى عملك هذا ضروباً من جهل الشباب » وقوله : « إنك والله ملء بنزق الشباب » . فكنت أقبل الشتم مادام دفيناً فى وصف الشباب المعسول ، وبذلك توصل صديقى الى ما شاء من سبابى ، ولم يخش أن يخسر شيئاً من مودتى . ولم أفطن الى حيلته الخبيثة إلا بعد لآى ، ولكننى مع ذلك لم أعاتبه ولم أغضب عليه ، بل بقيت راضياً بما ينالنى من شتمه لأحظى بوصف الشباب من ورائه . وعلى هذا فلست إلا حفيماً بدخولى فى زمرة الشبان الأدباء ، قانعاً بوجودى بينهم . وما دمت كذلك فانى لا بد مدمرهم على الشيوخ ، ومعصيهم ومحرضهم . وأول آيات ذلك التعصيب أننى أدعوهم اليوم الى تأليف نقابة لهم ، لتكون جامعة لكلمتهم ، ورابطة لهم عند الملقات اذا ما فكر الشيوخ مرة أخرى فى أن يصبغوا لهم العيون بلون الدماء .

وأى شىء يستنكر فى دعوتى هذه الى تأليف نقابة للأدباء الشبان ؟ وهل فى ذلك بدعة أو ضلالة ؟ إن الأديب الشاب شبيه بالعامل الفقير الذى لم يدخر بعد مالا ، ولم يتأثل شيئاً من حطام الدنيا ، والشيوخ الأدباء هم الذين ادخروا وتأثلوا . ألسنا نراهم اليوم يقولون للشبان إنكم مدينون لنا بكل شىء ؟ أليسوا قد أعلنوا للملا أنهم الأوصياء على انتاج الأدب وتوزيعه ؟ وما دام هذا هكذا — كما يقول شيخ منهم — فان الأمر لا بدعة فيه ولا ضلالة ؛ فقديمًا اجتمع ضعفاء العمال لى يحموا أنفسهم من وقعة أصحاب « رءوس الأموال » بهم ، فلما أن فعلوا أظهروا للعالم أن العمل شىء واجب أن يرعى فيه الحق ، وأن يتخذ فى معاملته العدل .

وفاء الطائر

للآنسة أسماء فهمي

درجة شرف في الآداب

امتقع وجه الشمس ، وخبّت أشعتها ، وعلاها اصفرار ،
وأصابها رعشة ، وغشى الأفق حمرة الوجد في ساعة الغروب ،
ثم وجت الطبيعة ، واطمأن الجدول في سيره ، ورق النسيم
واستولى على الكائنات شعور منقبض حزين . . .

ثم حالت نضرة الحقول في الأصيل ؛ ونظر الناس الى الشمس
الغاربة فآثروا الرواح ، وتملتت الماشية ، وقلق الصغار ، فسارع
القرويون الى جمع شتات أدواتهم من فؤوس وسلات ، وامتطوا
دوابهم فصارت تعدو بهم يدفعها الحنين والشوق الى الدار بعد
نصب النهار ؛ وسرعان ما ازدحمت بالعائدين الطرق والمسالك الموصلة
الى القرية . وكلهم مفتون بروعة المساء ، الانسان والحيوان
في ذلك سواء . . .

وأمام الدور في القرية تجمهرت النساء والأطفال ، وسرت
الحياة في الارحاء ، وتطاوت الأعناق لاجتلاء طلعة القادمين كما
لو أن أمد الشوق والفراق قد طال . . .

والطير لمحت بدورها احتضار الشمس من بين الأغصان ،
فتبادلت النظرات ، وتجاوبت بالأغريد كأنها تذكرت أمراً
ذا بال ، وسرعان ما جمعت جموعها وغادرت أسرة الأغصان ،
وحلقت في الفضاء أسراباً تندفع اندفاعاً نحو العش بقوة الحنين
وعزم الجناح . . . والحق ليس هناك أروع من منظر الطير ،
يدفعها الحنان نحو العش فلا تعود تأبه بتدليل الغصن ولا بحمال

فهم بين أمرين لاثالث لهما : إما أن يذكرها محاسنه ومساويه كما قال
أحد قدماء مشايخ الأدب ، وأن يعدلوا في الحكم ماداموا يجعلون
عنوان كتابتهم « نقد كذا » وإما أن يجعلوا عنوان كتابتهم
« محاسن كذا » ويكتفوا بذكر محاسنه أو « مساوي كذا »
ويكتفوا بذكر مساويه ، فإذا هم قبلوا ذلك الشرط أبحث لكم
العودة الى معاونتهم ومشاركتهم ، وإن هم أبوه مضيئاً في الأضراب
حتى تلجئهم ضرورة الحياة الى النزول عند العدل .

فهل من محيب أيها الأدباء الشبان ؟ « أريب »

وبذلك تكونون قد وقفت من ناقدكم على سواء — فإذا لم تستطيعوا
ذلك ، ورأيتم أن الناقد قد أخذ عليكم مسمع الناس فاساء عندهم
ذكركم ، فاني أنصح لكم أن تروضوا أنفسكم على فلسفة الأستاذ
الذي وصفت لكم حيلته حتى تصلوا بعد حين من رياضتها على تلك
الفلسفة إلى مرتبة القدرة على أن تنظروا إلى مؤلفاتكم في شيء
من الاحتقار ، أليست مؤلفاتكم من صنعكم ؟ وإذا لم تكن
معجبة ولا باهرة ، أليس في طاقتكم أن تخلقوا سواها ؟ فإذا كانت
باهرة ولكنها قد ظلمها النقاد ، أليس في استمراركم على التأليف
وإتيانكم بعد الآيات الآيات الأخرى ، واتحافكم الناس بمؤلف في أثر
مؤلف أقوى دليل على حسن استعدادكم ، وعلو كعبكم ؟

وبعد ، فهذه نصيحة أخرى ، وهي أن يؤلف من يؤلف منكم لأنه
مندفع إلى ذلك بميل في نفسه لا لكي يطلع الناس منه على ما يمدحونه
به ، فالأديب الصحيح من ألف لنفسه أولاً ، ولا تظنوا أنني سأجتزئ
من واجبات النقابة بالنصح لكم ، بل سأتجه بكم نحو نضال يجعل
المشايع يطلبون عفو الشبان وهم جاثون خاضعون مذعنون ، وليس
في خطي شيء عجيب ، فاني لن أفعل شيئاً أكثر مما يفعله نقباء
سائر النقابات ، فاني اذا ما حزبكم أمر سادعوكم إلى الاعتصاب
والأضراب عن التأليف والكتابة اضراباً تاماً ، فيعدل عند ذلك عن
الاقتراب من الأقلام كل من يكتب منكم في مجلة أو صحيفة ، أو
من يؤلف الكتب سواء أكان ممن يكتبون في الجذام في الفكاهة ؛
وإذا ما رأى بعضهم أن ذلك غير ممكن لتغلب شهوة الكتابة عليه
مهدنا له السبيل بأن نجعل في دار النقابة مطبعة ونجعل لها صحيفة
ونقصر قراءتها على أفراد النقابة أو أعضائها كما يقولون أحياناً ،
وعند ذلك يجد شيوخ الأدب أنفسهم عدداً ضئيلاً ، كما حدث
لأشراف رومة من قبلهم منذ قرون ، فلا يستطيعون أن يخرجوا
جريدة ولا مجلة ، ولا يجدون شيئاً ينتقدونه ويظهرون بنقده سيادتهم
فتقف دواليب أعمالهم ويعضون البنات أسفاً على احراجكم
واغضابكم ، ويلجئهم الحرص على مصالحتهم إلى طلب الصفح وإلى
معاملتكم بالعدل والحق . حقاً قد يستريح الجمهور بضعة أيام من
القراءة ، غير أنه قد يستجم في أثناء هذه الأيام قدرته على الاستقلال
في التفكير فيكون أقدر على أن يزن أقوال مشايخ الأدباء فيكم
وحكمهم عليكم ، وعند ذلك لا أتشد في مطالبي ، بل سأقتصر على
طلب واحد إلى مشايخ الأدباء ، وذلك أنهم إذا شاءوا ناقد مؤلف أحدكم

يأسه وحيرة دون تفكير . وهاجت الأطفال وماجت عند ما رأت
وسطها الطائر الجميل ، واجتهدت في حصاره وإلقاء القبض عليه ،
فاشتد هلع الطائر وقاوم مقاومة الأبطال ، ولكن آلام جرحه
اشتدت ، وازداد تخطيطه وتكرر سقوطه ، وأخيراً وقع في الميدان
صريعاً ، فهجمت عليه الأعداء ، ولكن سرعان ما تراجع
ووقفت مبهوطة صامتة مأخوذة برهبة الموت . . .

ولم يعلم الأطفال والكبار شيئاً عن سر دخول الطائر في
ظلام الليل ، ولو علموا سبب حيرته واضطرابه ، وأنه قاوم القدر
وأبى أن يهجع في غير العش الرؤوم اخلاصاً منه وولاء ، لنثرت
عليه الزهور والرياحين ، ولشغل مكاناً من القلب أسمى من المكان
الذي يشغله آلاف الناس — الذين لا يتعصبون في الحياة لأمر ،
ولا يتطرفون في الغرام بشيء ، ولا يفضلون داراً على دار . . . بل
قد لا يعبأون أن تضحي سعادة أوطان بأكلها . . . بينما يموت
طائر صغير شهيداً لوفاء للعش . . .

أسماء فرهمي

هل تريد مرتباً أكبر

ومركزاً أحسن من مركزك ؟

ان مدارس المراسلات المصرية تقدم لك أبداع فرصة لأن
تعوض كل مافاتك من التعليم لتحسين مركزك وللحصول على
مرتب أكبر سواء من عملك الحالي أو من عمل إضافي إلى جانب
هذا العمل . والدراسة باللغة العربية وكل ما تحتاج اليه هو بعض
أوقات فراغك التي تقضيها في القهوة أو فيمالة يعود عليك بالفائدة
وأنت تستطيع أن تدرس وأنت في منزلك ولو كنت في الصين .
وعندنا أكثر من ثلاثمائة منهج تنتقي منها ما يناسبك . وهي
تشمل الابتدائية . الكفاءة . البكالوريا . الانتساب للجامعات
اللغات . الصحافة . تأليف الروايات . الشعر والزجل . الرسم
التجاري والكاريكاتور . القانون . الثقافة العامة . التجارة .
الهندسة . أي فرع من فروع الصناعة . تفصيل الملابس . الخ . الخ . الخ
كتاب طريق النجاح في أكثر من ١٠٠ صفحة يرسل إلى
كل من يطلبه بدون مقابل فقط عين المنهج الذي تريد دراسته
أذكر هذه المجلة واكتب باسم محمد فائق الجوهري مدير مدارس
المراسلات المصرية ١١ شارع سنجر السروري شارع فاروق —
القاهرة

الزهر ولا بوفرة الحب ، ولا بالمرح والتفريد . . .
ولكن طائرًا جميلًا يمتاز بقوة تفريده وشدة جبرائه ، وتدفع
مرحه وحيويته ، أغرته أكوام القمح الذهبية فترك أفنان الشجر
وكاد يقع في شرك الفلاح لولا أن أنقذته سرعة قفزه ، فنجأ بأعجوبة
بعد أن أصابه خدش في الجناح . ولم يدر الطائر لشدة فرحه بالنجاة
حقيقة ما أصابه إلا عندما حان ميعاد الرحيل للعش ، وناداه الرفاق
فرفر بجناحيه وفاضت نفسه بنشوة الحنين ، ودفع جناحيه محاولاً
أن يأخذ مكانه في مقدمة السرب ، ويكون كمادة أول من تضمه
أحضان الوكر . . . وصاح صيحة الطرب ، واندفع إلى الأمام كالسهم ،
ولكن لم يلبث أن أخذ منه الجهد ، إذ اتسعت شقة الجرح . فترنح
في سيره ، وأخذ يدور حول نفسه ثم استسلم لجاذبية الأرض . . .
وسرعان ما استحال طيرانه إلى قفز . . . ونظر أمامه فوجد السرب
قد توغل في الفضاء فداخله الهم ، ولكن بقي لديه شيء من الأمل
الذي كانت تحمله إليه بقايا أسلاك الشمس الغاربة ، فصار يتعلق
بها كما يتعلق الفريق بالأعشاب الطافية على وجه اليم . . . على أن
شعاع الأمل سرعان ما انطفأ مع أشعة الشمس ، وانتشر الظلام
في الأرجاء ، وتسربل الكون بحلة سوداء . . . والطائر المسكين
لا يزال بعيداً عن العش ، بينما الطيور الأخرى كانت في تلك الآونة
تنعم بدفء الوكر وحنان الأهل ، وتستقبل الظلام في هدوء
واطمئنان ؛ والناس والماشية بلغوا مستقرهم ، والليل يهمس
حولها : نعم عقبى الدار . . .

أخذ الطائر الشريد يسير على غير هدى في دياجير الظلام
واليباس — يرتطم بالحوائط والجدران والأشجار ، ويتعسر في
الوخل والشوك ، وقد كان في وسعه لو أراد أن ينزوي في ركن
من الأركان ، أو يقضي الليل فوق غصن من الأغصان ، ولكنه لم
يشأ أن يتخذ عن عشه بديلاً ، بل آثر الجهد والنصب آملاً أن
تسوقه الأقدار بعد طول السهاد إلى العش الوثير المحبوب . . .
واستحالت في نظره حرية الفضاء إلى سجن قاتم ، وجمال الشجر
إلى قبح دميم ، ونفح النسيم إلى شواظ من نار ، وأنسى الطائر
فقد العش كل ما كان ينعم به من لذة وممتعة وشدو ، طليقاً في
سواء الصفاء والجمال . . .

وبقي على تلك الحال من القلق والاضطراب إلى أن قاده الحظ
العائر إلى كوخ فلاح ينبعث منه نور ضئيل ، فاندفع إليه في ساعة

المدينة الهاجعة

للأستاذ خليل هندأوى

مهداة الى مدينتي الصغيرة الراقدة رقاداً عميقاً على
الشاطئ الأزرق . . . صيداء
خليل

خاطر أزعج نفسي ياله من خاطر !
ماله من أول ماله من آخر

دعوا مدينة البحر تم هادئة ، فقد أرقتها يقظة الشاطئ ،
لا توقظوها اذا جاء الفجر . . . إنها نائمة .
نامت عن الأرزاء والشجون .
واستسلمت للأحلام الجميلة وأطبقت عليها الجفون .
من فاته في اليقظة الهناء
فليطلب النوم ، ففيه شفاء
وليغير أحلامه بالألوان الضياء
فتصبح الروح بها ناعمة
ألا لا توقظوها . . . إنها حاملة .

نامت في غابر الزمن على الشاطئ الأزرق نوماً عميقاً ،
وفي النوم تبدل المخاطر ، وتغير الأرواح ،
إذ لا سكون في عالم الحركة ، ولا وقوف في عالم الضوضاء .
تبدلت مدينتي وهي راقدة ، وهبت فلم تر من آثار أخواتها إلا
أطلالاً بالية ، ورسوماً عافية .
فمشت بين مدائن غريبة حائرة ذاهلة ، مشية أهل الكهف بعد يقظتهم !
رجعت الى شاطئها الأزرق كما قفل أولئك الى كهفهم ،

لأن الحياة تنكرت لها ولهم
فنامت . . . ولا تزال نائمة
لا توقظوها . . . إنها حاملة .

يهوى على قلبي أسى مبهم

أكتمه قسراً فلا يكتم
ألا أيها الأسى في أية جانحة تجثم ؟
لاخر تقوى على أمرك !
ولاغادة تقوى على قتلك . . .
أى أسى في روى الساعة ؟

تذوقت أيها الغريب جمال الصحراء الذي لا تنتهي حدوده
كما لا تنتهي لها حدود ،

وفنيت مع طيوبها ، وامتزجت مع ألوانها
وجريت مع (فرائها) الصامت ، ورتلت مع أطيافها ،
فمالك لم يشبعك جمال ، ولم تذهلك هذه الأشكال ؟

فيك وحشة من كل شيء ، لا يغلب عليها شيء ،
ولا تثير آفاقك المظلمة شمس ، ولا ينفذ اليها قمر
لأن في روحك وحشة من كل شيء . . .
لا الطبيعة تشبع نفسك ، ولا عبيرها يسكر روحك .
لأن مدينتك الصغيرة بعيدة عنك . . .
وان لم يكن لك في مدينتك — أيها الغبي — إلا الصخور
والأمواج ، فانها ستدعوك اليها .
لاحبيب في زواياها يناديك .
ولا صديق يناجيك .

الرمال التي تحسبها جامدة ميتة . . . الرمال التي كنت تعبت بها
طفلاً تناديك .

تناديك لتحضنك . . . هي مبعث وحشتك ، وموئل ذكرياتك .
للصخور الصلدة روح ، وللأمواج المتقلبة روح
تحيا كلها في حنايا روحك
هي نائمة كمدينتك الناعمة . . .
لا توقظوها . . . إنها نائمة

ترقد مدينتي الصغيرة في كل شيء أراه ، حتى في ذرات الرمال
وقزعات السحاب .

ويرن صوتها في كل مبعث صوت ، حتى في وقع الامطار .
فأين أفر من وجهها ، وكيف أصم أذني عن صوتها ؟

دنيا الأدب

بقلم محمد قدرى لطفى

ليسانسيه فى الآداب

ليست هي دنيانا ، فما ينبغي أن يكون هذا الأدب منها ، وليست هي عالنا ، فما يجب لهذا الأدب أن يدخل فيه ، وانما هي طبيعة الأدب تأبى أن يكون من دنيانا في شيء ، فان أكثر دنيانا قبيح ، وأكثر الأدب جميل ، وعماد دنيانا الحقيقة وعماد دنيا الأدب الخيال ، والعقل في دنيانا عنصرها الأكبر ، والعاطفة في دنيا الأدب عنصرها الأول ، والمرء في دنياه يرى بعيني رأسه ، ويرى في دنيا الأدب بعين قلبه ، وهو في الدنيا مادي ، قد يمسك بالزهرة فيقطعها في غير رحمة إلتماس غيرها ، فيظل به حتى ينفد ، ثم يلقها كأن لم تبهره لحظة بجمالها ، ولم تنعشه برهة بأريجها ، وهو في دنيا الأدب روي ، إذا أمسك بالزهرة فانما يمسها في رفق ، وإذا التمس شذائها فانما يفعل في حذر واحتياط ، حتى إذا أعجبه غيرها لم يقتطفها ولم يلقها ، وانما تراه يستخلص من غيرها الطيب بيتاً ينظمه ، أو قصيدة ينشئها ، أو سطوراً يكتبها ، وتراه يغوص في قرار المعاني ويصعد إلى عنان اللغة ليسجل للخالق حسن الصنعة ودقة الخلق

وكل الأشياء التي نحيا فيها تحيا فينا .

هي حية في نفسى . . . مدينتى الصغيرة

هي مبعث وحشتي في هذه الحياة الغريبة .

هي التي تجذبني اليها وتخيّم فوق رأسي في غربتي كالسحابة السوداء ، وهي تجمع ذكرياتي التي تصطف للقائي في كل زاوية من زواياها ، وفي كل ثنية من ثناياها

سأحاول أن أنسى . . . وسيساعدنى الزمان على النسيان ، وأية ذكرى وأية خطرة تستطيع أن تثبت أمام سلطان الأزمان ؟ لكن شاطئك الأزرق الجميل . . شاطئك الذي امتزج دمه بدمي ، وخفق قلبه في قلبي ، أتى لى أن أنساه ؟ . .

هو كالقطرة التي تنعكس فيها كل السموات والنجوم . . .

ألا هنيئاً للجالس على شاطئك الأزرق فانه مالك كل شيء ما

مهيل هنرارى

صيداء

وجمال التكوين ، وتراه يوفى الزهرة حقها من الإعجاب والاطراء ، ويبادلها حسنا بحسن ومتعة بمتعة . والمرء في دنياه يتكلم فيما يشاء بما يشاء ، وهو في دنيا أدبه لا يتكلم إلا فيما حرك شعوره وهز عاطفته ، فاذا فعل فباللفظ المختار وباللغة المنتقى ، والمرء في دنياه حين يتكلم لا يكاد يقع قوله إلا من نفوس قليلة مها تكثر فلن تخرج عن الحصر ، ولن تفوق العد ، وهو في دنيا الأدب يتكلم فيلتقى بعواطف الجوع ويضرب على أوتار القلوب ، وقد ينتقل قوله من لغة إلى لغة وينتشر حديثه من لسان إلى لسان ، فيفنى هو وما قال باق على الدهر خالد على الأيام ، وقد يظل المرء في دنياه من غير صاحب ، وقوله في دنيا الأدب يلقى الصحاب في كل مكان ، ويتخذ سميراً في الجماعات أو خليلاً في الوحشة ، أو مؤنساً في الوحدة ، يصادف من كل قلب مبتغاه ، ويلقى عند كل امرئ قبولاً ، ويقع من كل نفس موقع البرء من السقام

ودنيانا محدودة وان ترامت حدودها ، مقيدة وان اتسعت قيودها ، ودنيا الأدب لا تعرف الحد ولا تعرف القيد ، فالأدب يعيش في كل مكان ويحيا في كل زمان ، يتناول كل شيء ، وقد يتخذ لنفسه موضوعاً من لا شيء ، وليس توخى الجمال فيه ولا التزام أوجه الحسن في فنونه قيداً له ولا عيباً في دنياه ، وانما هو الجمال طبيعته وعنصره ، ما أن يفقده حتى يخرج من دائرة الأدب إلى دائرة الكلام البحت والحديث الصرف . فالشعر إن فقد الجمال كان نظماً فحسب ، لاهو بالشعر ولا هو بالنثر ، قد وقف بين الصناعتين لا يدري أهو من هذه أم هو من تلك ، والنثر إن فقد طلاء البلاغة لم يكن من الفن في شيء ، وكما تغلو الأشياء في دنيانا وترخص ، يغلو الأدب في دنياه ، وتنحط قيمته تبعاً لمقدار الجمال فيه ، وأكثر موازين دنيانا الكم ، وميزان دنيا الأدب الكيف .

على أن دنيا الأدب وان كانت جمالاً كلها فليست نعيماً كلها ، وان كانت إعجاباً كلها فليست تخلو من العجب ، فقد أقام البؤس فيها إلى جانب الجمال ، وسكنت الفاقة فيها إلى جانب الحسن ، وكثيراً ماتحالفوا على غير فكاك ، وتوافقوا على غير خلاف ، شأن دنيا الأدب في ذلك شأن دنيانا ، فانك لتجد فيها الوجه الجميل في المسكن الذليل ، وغالباً ما يلقاك الشرف الرفيع في الكوخ الحقير ، وكثيراً ماتحل السعادة حيث ترق الحال ، ويقيم الهناء حيث يحل الفقر .

٨- أعيان القرن الرابع عشر

للعلامة المغفور له احمد باشا تيمور

الشيخ مصطفى السفطى

مصطفى السفطى بن مصطفى الفاكهانى السفطى بن على السفطى ابن احمد شلبى ، نسبة الى سبط القطايا ، ولد بمصر القاهرة حوالى سنة ١٢٥٠ ، وأرسل الى المكتب فى السابعة من سنه ، ثم تنقل من مكتب لآخر حتى حفظ القرآن الكريم ، واشتغل بتجويده فى الأزهر ، ثم شرع فى طلب العلم على شيوخ عصره ، فقرأ الكفراوى على أحد العلماء المبتدئين فى التدريس ، فكان يحفظ العبارات ولا يفقه لها معنى ، ولما أعني عليه أمره ، وتعذر عليه إعراب أمثلة من غير هذا الكتاب أعاد قراءته ، ولكنه لم يستفد شيئاً . وكان بجوار داره دار السيد احمد البقلى أحد المدرسين بالمدارس ، وله ولد أراد أن يقرأ القرآن مع المترجم ، فشكا المترجم له من تعسر النحو عليه ، فأشار عليه بشراء متن الآجرومية وأمره بحفظه ، ثم شرع فى إعرابه له على الطريقة الأزهرية ، فلم يستفد شيئاً أيضاً ؛ وشكا من ذلك للشيخ محمد الدمنهورى ، فأمره بترك طلب النحو كلية حتى ينسى ما علق بذهنه منه ، ففعل واقتصر على الفقه ، فحضر ابن قاسم على الشيخ البيجورى ، وكان يفهمه بخلاف النحو ، فمالت نفسه اليه فحضره مرة ثانية على الشيخ فتتوح البيجورى ، ثم مرة ثالثة على الشيخ عبد الرحمن القباني أحد تلاميذ الشيخ فتتوح المذكور ، وكان يطالعه لآخوانه المبتدئين .

ثم قرأ الكتب المتداولة بالأزهر ، ولم تفتقر نفسه عن طلب النحو على ما لاقاه فيه من الصعوبة ، فصار يتردد على الشيخ محمد الدمنهورى ومعه متن الآجرومية فقط ، وصار الشيخ يقول له اقرأ هذه الجملة ثم تفهم معناها بنفسك ولا تنظر لأقوال الشراح ، فيفعل ، فتارة كان يخطئ وتارة يصيب ، وسهل عليه فهم هذا العلم بهذه الطريقة ؛ وكان أحد أصحابه مبتلى بمثل ما ابتلى به ،

ودنيا الأدب لا آخرة بعدها ، ولا إمهال فيها ، وإنما يلقى صاحب الأدب فيها حسابه سريعاً فيجزى به أو يعاقب عليه ، فما هو إلا أن يظهر أهل دنياه على مآتى من عمل فنى حتى يتولاه النقاد من قومه بالحساب ، يحاسبونه حساباً فيه يسر حيناً ، وكله عسر أحياناً ، وحساب أهل الأدب على عسره ليس يخلو من عجب ، فلا الخير فيه خير بالاجماع ، ولا الشر فيه شر بالاجماع ، وإنما الخير عند زيد شر لدى عمرو ، والشر يراه هذا خيراً ، والخير فى عرف ذاك شر ، قد تفاوتت الموازين ، وتباينت المكييل ، وليت شعري متى يشاء ملائكة النقد أن يكون لدنيا الأدب ميزان يزن به الجميع ، وكيل يكيل به الجميع . فقد خلق الناقدون وكل معه ميزانه ، وكل فى يده كيلاه ، فاختلفت أحكامهم على العمل الفنى الواحد ، وتعددت أقوالهم فى انتاج الأديب الواحد ، ولعل دنيا الأدب لم تظلم صاحب الأدب حين أباحت له حرية الدفاع عن آثاره الأدبية والرد على محاسبيه ، والتماس الحق لجانبه . ومن غريب دنيا الأدب أنها تبيع حساب المرء حياً وميتاً ، فيتناول النقاد سيرته بالتحليل ويتولون حياته بالتمحيص ، ويظهرون الناس على أقواله إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر ، وانك لتجد الشاعر أو الناثر قد فارق دنياه منذ قرون ، وأسدت السنون عليه وعلى قومه حجاباً من النسيان ، ومع ذلك فهو فى دنيا الأدب حى مذكور لا يزال النقاد يحاسبونه على شعر قرضه ، أو ثثر كتبه ، أو قصة حاك أطرافها ، ولا يكتفون من ذلك بالمئات من المرات .

ومما يحاسب المرء عليه فى دنيا الأدب عدا الأداة فى الفن أو التقصير فيه ما قد يرتكبه من سرقة لثمار العقول أو نتاج العواطف فينتحل لنفسه ما ليس له . غير أن الحساب على هذا الذنب ليس كما ينبغي له من العسر والشدة ، وليس كما يتفق مع خطره من القسوة والقوة ، وإنما هو مباح أو كالمباح حتى خشيت دنيانا هذه الأباحة من دنيا الأدب ، وخافت على أهلها من دعاة الأدب أن يبيحوا فيها ما ليس الى إباحته من سبيل ، فأفسحت صدرها لمن يلجأ اليها من دنيا الأدب ، شاكياً ما استحله الغير من ثمرات قريحته ووحى خاطره فحتمه بتشريعها ، وأحاطته بسياج من قانونها .

وفى دنيا الأدب من المفارقات العجيبة والسير الطريفة ما لا تتسع له الصفائف ، فكيف يقوى كاتب على دنيا بأكلها يحصى ما بها ويعدد ما فيها ؟

محمد قدرى لطفى

وليس لي مطمع في الناس يا جثنى
وأسأل الله حاجاتي فيمنحني
وله :

قد يسر الله أسباب المعاش لنا
ليعلم العبد أن الله يرزق من
فيطلب الرزق بالأسباب معتمداً
ولا يخاف ولا يرجو سواه ولا
وكان رحمه الله طيب الخلق ، حسن المعاشرة ، اعتكف في
داره بعد فصله من المدارس على الاشتغال بالعبادة ومذاكرة العلم
مع بعض من يسمر معهم من اخوانه وأخلائه ، أو استقلالاً
بنفسه ، وكان في مبتدا أمره مولعاً بالسمع ، وتشبث بتعلم الموسيقى ،
فلازم الشيخ محمد شهاب الدين الشاعر المشهور ، وكان متقناً لها ،
فأخذها عنه وأتقنها ، ولكثرة مطالعته لكتب الأدب صارت له
ملكة أدبية ، ومعرفة بجيد الشعر ونقده . ثم ما زال على هذه
الحالة المحمودة حتى أرققه الكبر وضعف عن المشي ، فلزم داره
لا يخرج منها إلا لصلاة الجمعة في أقرب مسجد إليه ، ومع ذلك
فلا يبلغه إلا بمشقة زائدة . وتوفاه الله إلى رحمته في يوم الثلاثاء
٢١ رمضان سنة ١٣٢٧ .

الشيخ أحمد أبو خطوة

الحنفي

أحمد بن أحمد بن محمد بن حسب الله بن علي بن محمد بن علي
ابن مذكور بن أبي خطوة المدفون في مطوبس ابن مذكور بن
شكر بن هاشم بن محمد وهو أول من نزل بكفر ربيع منهم ودفن به ،
ابن سالم المدفون بالحدين بالبحيرة ، ابن موسى بن حسن بن أحمد
ابن علي بن شكر بن إبراهيم بن أحمد بن شاكر بن حسن بن علي
ابن محمد بن علي ابن السيد عبد الرحيم القناني صاحب الضريح
المشهور بقنا ابن هريدي بن جعفر بن حماد بن سعادة بن عبد
اللطيف القاسم بن عبد الله بن عبد اللطيف بن هاشم بن عبد الجواد
ابن محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد
الباقر بن علي زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام علي بن أبي
طالب . هكذا أمل على نسبه من لفظه . . ولد في ٢٠ ذي القعدة
سنة ١٢٦٨ ببلدة كفر ربيع التابعة لتلا من أعمال المنوفية ونشأ

وأخبره أن عند علي أفندي العروسي شرحاً للرمل على الآجرومية ،
فاستعاراه منه وقرأه معاً ، فكانا يفهمان ما فيه فهماً جيداً . ثم
اجتمع المترجم بانسان كفيف البصر اسمه الشيخ علي الفيومي ، له
بائع في العربية ، فقرأ عليه مع صاحبه كتاب الشيخ خالد
والأزهري ، والقطر ، وابن عقيل ؛ ثم أعاد المترجم القطر على الشيخ
السبيني بالأزهر ، وقرأ الخطيب على الشيخ علي الأشموني عم الشيخ
الشيخ محمد الأشموني الشهير ، وقرأ التحرير والمنهج على الشيخ
مصطفى المبلط ، وهو آخر حضوره في الفقه . ثم قرأ علوم البلاغة
بالأزهر ، والعروض مع إعادة البيان بالمطالعة مع بعض تلاميذ
رفاعة بك : كقدرى باشا وإبراهيم بك مرزوق . وبعد ذلك
انتخب مدرساً بالمدرسة التجهيزية سنة ١٢٩٠ في أول نظارة
رياض باشا على المعارف ، وكانوا إذ ذاك يقرأون بها الأنموذج
للزحشرى في النحو ؛ ثم كلف بتأليف رسالة في الصرف
ففعل ، وقرأها للتلاميذ نحو ثلاث سنوات ، ثم اتفق مع بعض
المدرسين على تأليف رسائل في البلاغة والصرف بتوسّع أبسط
من الرسالة الأولى ، وقرأ بها سنوات ، ثم أمر بقراءة العروض
والقوافي في المدارس ، فاستحسن رسالة أبي الجيش وأقرأها ، ثم
وضع رسالة في العروض والقوافي أتم بها ما أراد أبو الجيش ،
ولكن وقع ما منعه من تقديمها للمدارس ، ثم كلف بوضع رسالة
في علم الرسم ، فوضع رسالته « عنوان النجاة في قواعد الكتابة »
وقرئت بالمدارس .

ونقل بعد ذلك للمدرسة الابتدائية المسماة (بالمبتديان) ، وكان
ذلك سنة ١٣٠٦ ، فألف بها رسالة بالاشتراك مع غيره في المترادفات ،
ثم نقل إلى المدرسة السنية الخاصة بتعليم البنات ، فبقي بها سنتين
ألف فيها رسالته « محاسن الأعمال » ، ولما عرضت على المجلس
العالي بنظارة المعارف استحسناها أعضاؤه جداً وقالوا : الأولى أن
تكون بيد المعلمات لا بيد المتعلمات . ثم أخذت قوته في الوهن ،
وبصره في الضعف لكبر السن ، فعرض استقالته على النظارة
مبيناً السبب . فأحيل على الكشف الطبي ، ثم أحيل على المعاش .
وله من التأليف غير ما تقدم رسالة في الصرف اسمها « قرّة الطرف »
أوسع من المقدمة ، وأخرى في النحو وهي « منحة الوهاب في
قواعد الاعراب » ، وهي نظم . ومن شعره :

الحمد لله لا فقر يضرب ولا غنى يغرب فلا حزن ولا فرح

الكبرى بالقاهرة ورأس المجلس العلمى للنظر والفصل فى القضايا الكبرى ، ثم انتدب للمحكمة العليا بعد ذلك فكانت له اليد الطولى فى إصلاحها ومنع شهادات الزور وإصلاح حال المحامين ، وكانت وفاته فى شوال سنة ١٣٢٤ .

حسن افندى عبد الباسط

الحوى

كان خلاسى اللون يشبه الحبش ، وبوجهه أثر جدري ، وكان أديباً شاعراً هجّاء ، خبيث اللسان مجيداً ، إلا أنه مقلّ ، استخدم بالاسكندرية فكان رئيس قلم فى الضبطية حوالى سنة ١٢٨٥ ، وبقي بها الى سنة ١٢٩٠ ، وكان بها إذ ذاك مصطفى صبحى باشا الشاعر المشهور ، فكان يجتمع به من بها من الأدباء والشعراء ، فيسمرون معاً ويحيون الليالى بالذاكرة وإنشاد الشعر ، واتفقوا على تسمية مجلسهم بالمربد ، وألا يقبلوا به أحداً إلا اذا ارتضوا به جميعاً ، فكان المترجم ممن رضوا به أن يكون من شعراء المربد ، وكانت تمر عليهم ليال يقرّحون فيها ارتجال الشعر ، ويعيّنون عدد الأبيات والوقت الذى يجب نظمها فيه ، فكان أحدهم اذا تعذرت عليه قافية وأعجله الوقت ارتجل كلمة لا معنى لها ، أو لها معنى لا يوافق السياق وتمم بها البيت ، فاجتمعت لهم من ذلك ألفاظ غريبة مضحكة سموها بالألفاظ المربدية .

ثم تنقلت الحال بالمترجم فاستخدم معاوناً بمديرية الشرقية ، ثم فصل فضايق به العيش وفتح حانوتاً بالزقازيق للصيدلة القديمة ، المسماة فى العرف الآن بالعطارة ؛ وكان أمره بها عجيباً ، فانه اقتنى كتباً من مفردات الطب وقانون ابن سينا ، وصار اذا طلب منه أحدهم بيع عقار من العقاقير ، سألته عن سبب حاجته اليه وقام الى تلك الكتب فاستخرج له منها من اياه وما يداوى به من العلل ، وبقي مدة على ذلك حتى توفاه الله بعد سنة ١٣٠٠ .

ومن شعره يمدح محمداً فتح الباب افندى كبير كتاب ديوان البحر :

رأيت العلا ترتاد بعلاً لنفسها وقد خطبتها قبل ذاك الأوائل
فقمنا سراعاً قاصدين لخدمها عساها بنا ترضى ويحلى التواصل
فلما رأتنا واقفين يبابها أشارت لفتح الباب منها الأنامل
وكان رحمه الله على خبث لسانه طرفة من الطرف ، وأعجوبة

بها ، حفظ القرآن وبعض المتون ، ثم سافر للقاهرة لطلب العلم بالأزهر فى ١٦ شوال سنة ١٢٨١ واشتغل فيه بالطلب وقراءة الفقه على مذهب الامام الأعظم . ومن شيوخه الشيخ محمد البسيونى البيبانى ، والشيخ أحمد الرفاعى الفيومى ، والشيخ عبد الرحمن البحراوى ، والشيخ عبد الله الدرستوى ، والشيخ حسن الطويل

وكان أكثر اشتغاله فى العقول على الشيخ حسن الطويل ولازم صحبته وتخلّق بأخلاقه ، وقرأ عليه مداره العلوم الحكيمية والرياضية فتلقي عنه شرح الهداية للمبيدى ، والطواع ، وأكثر المقاصد والمواقف ، وإشارات ابن سينا بالشروح لنصير الدين الطوسى ، والامام الرازى ، والمحجمات ، وبعض كتاب النجاة لابن سينا ، وأشكال التأسيس بشروحها فى الهندسة ، وتحرير أقليدس ، وفى الهيئته شرح الجفميين ، وتذكرة نصير الدين الطوسى ، وفى الحساب خلاصة بهاء الدين العاملى بشرح البورصاوى ، والمعونة وشرح ابن الهائم وغيرها ، وفى المنطق القطب بحواشيه والمطالع والخبيصى وإيساغوجى وغير ذلك من هذه العلوم .

وامتحن للعالية والتدريس فى ١٨ صفر سنة ١٢٩٣ وكان مجلس الامتحان مكوناً من الشيخ عبد الرحمن البحراوى والشيخ عبد القادر الرفاعى الحنفى ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصنى والشيخ زين المرصنى الشافعى ، والشيخ احمد الرفاعى والشيخ أحمد الجيزاوى المالكيين ، برئاسة شيخ الأزهر ومفتى الديار المصرية الشيخ محمد المهدي العباسى ، فلما امتحنوه أعجبوا به إعجاباً شديداً لجودة تحصيله وشدة ذكائه فأجازوه ، إلا أنه آخر التدريس لسبب اشتغاله بتتميم ما كان يقرؤه على شيخه الطويل ثم ابتدأ فى القراءة بالأزهر سنة ١٢٩٦ فقرأ به الكتب المتداولة به وغيرها ، وتخرج عليه جمع من الأفاضل منهم السيد محمد شاكر ، والشيخ محمد حسنين العدوى ، والشيخ محمد بخاتى ، والشيخ سعيد الموجى ، والشيخ محمد الغرينى ، والشيخ مصطفى سلطان وغيرهم .

ثم جعل مفتياً لديوان الأوقاف فكانت له اليد الطولى فى إصلاحه وعاون من به على تحسين أموره بجودة عقله وحسن رأيه ، وحسبك انه دخله وإيراده مائة وعشرون ألف دينار وخرج منه وإيراده يربو على المائتين . ثم نقل عضواً فى المحكمة الشرعية

قد وخطه الشيب ، ومات بعدما تجاوز الستين ، رحمه الله تعالى .

الشيخ مصطفى سلامة

النجارى

توفى والده وهو صغير ، فتكفل به زوج أمه ورباه ، فلما ترعرع مال للأدب ، وقرض الشعر ، فاتصل بالشيخ على الدرويش ، وتخرج عليه في النظم ، واتصل بعد ذلك بأسرة المويالى ، ففتحوا له حانوتاً بالتربعة لبيع الحرير فلم يصادفه النجاح ، ثم جعل منشئاً بالوقائع المصرية ، ولم يزل يكافح زمنه حتى اتصل بوالى مصر سعيد باشا ، وصار شاعره وتقرب اليه ونال جوائز ، فحسنت حاله ، واجتمع بأكابر الدولة ومدحهم وداخلهم فنال وجاهة وصار له شأن يذكر ، وجمع ما نظمته في مدح سعيد باشا في ديوان خاص ، وهو الذى جمع ديوان أستاذه الدرويش وسماه الاشعار بحميد الأشعار .

من العجائب : فى حسن المنادمة وحضور الذهن وسرعة الجواب ؛ رآه مرة بعضهم وهو مسافر الى الزقازيق فى القطار ومعه جراب يحمله بيده ، فقال له مداعباً : أظن هذا جراب الحاوى ، أى المشعبد . فقال لا ياسيدى ، هذا جراب الحوى !

ابراهيم بيك مرزوق

الشاعر

تلقى العلم بمدرسة الألسن ، وتخرج على ناظرها رفاعة بك رافع الشهير ، فقرأ بهذه المدرسة النحو والصرف وبقى علومها ، وبرع فى الفرنسية . وكان لرفاعة عناية خاصة فى تلقين تلاميذه العربية والعلوم الأدبية ، وتدريبهم على نظم الشعر ، فكان للمترجم حظ من هذه الصناعة ، فنظم الشعر الجيد من المقطعات والقصائد ، اعتنى بجمعها بعده محمد سعيد بك ابن جعفر مظهر باشا

سنة ١٢٨٧ فى ديوان سماه « الدر البهى المنسوق » ،

بديوان ابراهيم بك مرزوق » وطبع بمصر .

ولما أتم المترجم علومه بالمدرسة استخدم فى

ديوان كان يقال له (ديوان الهرجلات) وهو خاص

ببيع الخيل والماشية التابعة للحكومة ، ثم نقل

منه للقلم الافرنجى بالضبطية ، وفصل منه مدة

عبد به باشا ضابط مصر ، ثم عاد اليه بعد نحو

ثلاث سنوات ، وكان مدة توليه لهذا القلم كثير

المعاكسة للافرنج إذا وقع أحدهم فى سجن

الضبطية ، أو كانت له دعوى بها ، قلما كان يسلم

من أذاته ، حتى ضج منه وكلاء الدول وأكثروا من

الشكوى ، فلم يكن يثبت عليه شئ عند التحقيق ،

والسبب فى ذلك أنه كان يعتمد على إخوانه

ومرءوسيه بالضبطية على إيصال الأذى اليهم سرّاً ،

نكاية بهم لطفيانهم على الرعية ، وتدرعهم

بدروع الحماية .

وفى مدة وكالة اسماعيل باشا الخديو نقل المترجم

معاوناً بمجلس الأحكام ، ثم لما تولى هذا الخديو

على مصر أرسله ناظراً للقلم الافرنجى بالخرطوم

قاعدة بلاد السودان ، فبقى الى أن توفى بها

سنة ١٢٨٣ . وكان مربوع القامة ، أبيض اللون ،

شركة مصر

للغزل والنسيج

تصدر منتجات خامها

بمبلغ ٣٥٠٠٠٠٠ جنيه مصرى موزعة على ١٧٥٠٠ سند

قيمة كل منها ٢٠ جنيهاً مصرياً

فائدتها ٥ ٪ من القيمة الاسمية

الاكتتاب

يبدأ يوم ١٦ يولية سنة ١٩٣٤

وينتهى يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٣٤

تقدم طلبات الاكتتاب لبنك مصر وفروعه

والفلسفة ، وما يقال عن هؤلاء ، يقال عن غيرهم .

منشؤه :

والآن . . نعود الى الكندي فنقول : قل من يجهل أن يعقوب الكندي من أشهر فلاسفة الاسلام ، ولكن قل من يعرف أيضاً أن له فضلاً على العلوم الرياضية والفلكية اذ كان من الذين امتازت مواهبهم في نواحيها العديدة ، ومن أوائل الذين اشتغلوا وألفوا في العلوم الدخيلة . يقول كتاب التمدن الاسلامي « . . فيعد أن كان العرب في صدر الاسلام يستنكفون من الاشتغال حتى في العلوم الاسلامية . . أصبحوا لا يستنكفون من الاشتغال حتى في العلوم الفلسفية الدخيلة ، وأول من اشتغل فيها أبناء ملوكهم . . » كان الكندي عالماً بالطب والفلسفة والحساب والهندسة والمنطق وعلم النجوم ، وتأليف اللحن ، وطبائع الأعداد . وهو يمت بالنسب الى أحد الملوك العرب ، وكان أبوه أميراً على الكوفة (محل ولادته) . وقد وُلد في بداية القرن التاسع للميلاد ولم يتمكن أن نعثر بالضبط على تاريخ ولادته . أما تاريخ وفاته فيرجح أنه في أواخر القرن التاسع .

درس الكندي في بادىء أمره في البصرة ثم أتم تحصيله على أشهر العلماء ، هذه الفرص التي لم تكن تسنح لغيره ، واستعداده الفطري واستغلاله لكل ذلك أوجد له مكاناً ذا حرمة واعتبار عند خلفاء بني العباس حتى أن الخليفة المأمون انتخبه ليكون أحد الذين يُعهد اليهم ترجمة مؤلفات أرسطو وغيره من حكماء اليونان . ولم يخل الكندي من أناس يناصبونه العداء إما حسداً وإما غير ذلك كالقاضي صاعد بن احمد القرطبي ، وأبي معشر جعفر بن محمد البلخي ويُقال إن هذا الأخير كثيراً ما كان يشاغب عليه ويشنع بحجة أخذه بعلوم الفلاسفة ، وقد تمكن الكندي مرة بشاقب نظره أن يتخلص منه ، وذلك بأن بعث من حسن له النظر في الرياضيات وفعلاً اشتغل أبو معشر بها زمناً ، ولكنه لم يوفق ، فعدل عنها الى علم النجوم ، وقد وجد فيه لذة فعكف عليه وأحب من يشتغل فيه وأصبح من أصحاب الكندي ومن المعجبين بعلمه ونبوغته

آثاره :

والكندي أول من احتذى حذو ارسطوطاليس ، كان ملماً بحكمة الهنود ، فسر كثيراً من كتب الفلسفة ووضع بعض النظريات الفلسفية في قالب مفهوم حتى ان كتبه في المنطق وغيره لقيت إقبالاً عظيماً ، « وله رسائل ومؤلفات في علوم شتى

الكندي

« هو من الاثني عشر عبقرياً الذين ظهروا في العالم »
كاردانو

للأستاذ قدرى حافظ طوقان

مقدمة :

ليس أصعب على الباحث من الكتابة عن حياة عالم لم يُعطه التاريخ حقه من البحث والاستقصاء ، ويزيد في الصعوبة التشويه الذي نجده في حياة كثيرين من علماء العرب والمسلمين . فكم من حقائق لم تذكر ، وكم من حوادث أخذت على غير حقيقتها فسيء فهمها ، وكم من اختراع للعرب نسب لغيرهم ، وكم من تلاعب طراً على التراث الاسلامي فجعل كثيرين من شباننا يشكون في مجد أمتهم ومدنيتها وقابليتها على الإنتاج . ومن الغريب أن تجد بعض علماء الفرنجة (لبقين) في الكتابة عن نوابغ العرب ، فهناك شخصيات عربية واسلامية لمت في نواح عديدة من المعرفة ، ومن الطبيعي أن يختلف اللعان ، فبينما تراه شديداً في فروع ، تراه في الأخرى وفي الوقت نفسه غير شديد . ويأخذ بعض الافرنج النواحي الشديدة اللعان ويذكرونها ويهملون النواحي الأخرى إهمالاً كلياً لا يعيرونها أى اهتمام ولا يأتون على ذكرها . ولا شك أن في هذا إجحافاً لا يستسيغه عقل ولا يقبله منطق ، وعلينا أن نعمل جهدنا لنظهر هذه ونعطيها حقها من التنقيب والبحث . خذ ابن سينا (مثلاً) فقد اشتهر في الطب والفلسفة ، وقليلون جداً الذين يعرفون أنه كان رياضياً وطبيعياً ، وأن له في كل هذه مجالات وآراء سديدة قيمة ، فلقد أفاد الفيزياء بحوثه المبتكرة فيها ، كما أنه استطاع أن يقدم خدمات جليلة لبعض الفروع من العلوم الرياضية . وإذا اطلعت على ترجمة حياة ابن يونس في دائرة المعارف الاسلامية تجد أن كاتب الترجمة (H. suter) قد وفي حق ابن يونس في نواح ولم يوفها في نواح أخرى فلقد جهل أو نسي أو تناسى (لأدرى) ان يذكر ان الرقاص (بندول الساعة) هو من مخترعات ابن يونس وناهيك بالرقاص والفوائد التي حنتها المدنية منه . ولا أكون مبالغاً اذا قلت إنه يندر أن تجد واحداً يعرف أن عمر الخيام كان من كبار رياضيين زمانه ومن فحول فلكي عصره ، فلقد قدم خدمات حقيقية للرياضيات والفلك لا تقل عن خدماته للشعر

القرون الوسطى أضاعوا معظم أوقاتهم في الكيمياء للحصول على الذهب، وله مؤلفات في الرئيات والبصريات وقد وضع كثيراً من نظرياتها في قالب رياضي، وكان لبحوثه هذه تأثير كبير على دراسات باكون^(١) وواتيل، وكتب في الموسيقى وأعطى طرقاً لإيجاد التردد.

مؤلفاته :

وللكندي مآثر جمة تظهر في أكثر العلوم بل تكاد تسجلها كلها فقد ألف في الفلسفة وعلم السياسة والمنطق والحساب والكريات والموسيقى والنجوميات والهندسة والفلك والطب والاحكاميات والجدليات والنفسيات والاحداثيات والابعاديات والتقدميات، كل هذه وغيرها مذكورة في كتاب الفهرست لابن النديم، وتربو على ٢٣٠ كتاباً، وله فوق ذلك رسائل في علم المعادن وانواع الجواهر والأشياء وفي أنواع الحديد والسيوف وجيدها ووضع انتسابها. أما تأليفه في الرياضيات والفلك فاهمها رسالة في المدخل الى الارتماطيقى خمس مقالات، كتاب في استعمال الهندي أربع مقالات، رسالة في تأليف الأعداد، رسالة في تسطيح الكرة، رسالة في علل الأوضاع النجومية، كتاب في أغراض كتاب أقليدس، كتاب في تقريب قول ارشميدس في قدر قطر الدائرة من محيطها، رسالة في تقسيم المثلث والمربع وعملها، كتاب في كيفية عمل دائرة مساوية لسطح اسطوانة مفروضة، رسالة في قسمة الدائرة لثلاثة أقسام، رسالة في صنعة الاسطرلاب بالهندسة، رسالة في ظاهريات الفلك، رسالة في استخراج بعد مركز القمر من الأرض، رسالة في استخراج آلة وعملها يستخرج بها ابعاد الاجرام، رسالة في الحيل العددية وعلم اضرارها، وو... الخ.

تلاميذه :

وقد أخذ عن الكندي طلاب كثيرون منهم أبو العباس ابن محمد بن مروان السرخسي، وكان متفناً في علوم كثيرة من علوم القدماء والعرب، قرأ على الكندي وعنه أخذ، اشتهر في الفلسفة والطب وكان موضع سر المعتضد، وكذلك أبو زيد أحمد ابن سهل البلخي فقد أخذ عن الكندي، وكان له مقام رفيع، ودعى جاحظ خراسان. ومن تلاميذه أيضاً حسنويه ونفطويه وسلمويه وغيرهم كثيرون.

نابلس

فرى حافظ طوقانه

(١) سارطون — مقدمة لتاريخ العلم — ج ١ ص ٥٥٩

نفقت عند الناس نفاقاً عجيباً، وأقبلوا عليها اقبالاً مدهشاً»^(١) هذا وغيره اوجد له في قلوب معاصريه حسداً فنقموا عليه وحاولوا مراراً النيل منه، وأن يوقعوا بينه وبين الخليفة فنجحوا في ذلك، ولكن إلى زمن لم يطل أمده.

كان الكندي مهندساً قديراً كما كان طبيباً حاذقاً وفيلسوفاً عظيماً ومنجماً ماهراً، وقد ترك آثاراً كباراً جليلة جعلت العالم الإيطالي «كاردانو» يعده من بين الاثنى عشر عبقرية الذين هم من أهل الطراز الأول في الذكاء، وجعلت أيضاً «باكون» الشهير يقول «إن الكندي والحسن بن الهيثم في الصف الأول مع بطليموس» ويقول كتاب (آثار باقية) «إن الكندي أول من حاز لقب فيلسوف الاسلام». وكان يرجع إلى مؤلفاته ونظرياته عند القيام بأعمال بنائية كما حدث عند حفر الأقنية بين دجلة والفرات. وعلى ذكر الأقنية يقال إنه كان في بلاط المتوكل أخوان اشتهرا بالهندسة والأعمال التطبيقية، وهما محمد وأحمد ابنا موسى بن شاكر، وكان يعز عليهما أن يظهر غيرهما بمظهر الماهر المتفوق، وبذلك لم يتركا فرصة للنيل من كل من عرف بالمعرفة والتفوق في علم من العلوم، ومن الطبيعي أنه لم يكن يروق لهما أن يسمعا عن الكندي وفضله، سيما وأنه ذو مركز عظيم في البلاط فسعيًا في الوشاية عليه، وكان لهما ما أرادا في بادئ الأمر، واستطاعا أن يجعلوا الخليفة يأمر بمصادرة مؤلفاته وكتبه. وكان يقال إن مراد ابن موسى من المصادرة هو أن يستفيدا من مراجعة الكتب في حفر القناة الجعفرية، ولكنها فشلا في إنشائها فاستدعيا المهندس الشهير سند ابن علي لحل بعض المضلات التي وجدها عند حفر القناة، فوعد بحلها وبمساعدهما على شريطة أن يرجعا للكندي كل كتبه، وأن يسعيا لدى ولي الأمر في العفو عنه وفي ازالة ما أوجده من فتور وسوء تفاهم.

وقال الكندي باحكام النجوم، وكان يرجع بعض الظاهرات والحوادث الى أسباب فلكية فيستمد من أوضاع النجوم وحركاتها بعض التنبؤات. فيقال إنه نهى عن الاشتغال بالكيمياء للحصول على الذهب، وقال إن في ذلك تضییعاً للوقت والمال، وقد ألف في هذا الموضوع رسالة سماها «رسالة في بطلان دعوى المدعين صنعة الذهب والفضة وخذعهم». وقد افادت رسالته هذه بعض معاصريه والذين أتوا بعده، إذ لا يخفى أن كثيراً من علماء

(١) أبو حيان التوحیدی — المقابسات — ص ٨٥

مِنْ طَرَائِفِ الشِّعْرِ

فرحة الألم

لشاعر الشباب السورى أنور العطار

فَقُلْتُ لَهُ خَلَّ عَنْكَ الْبُكَاءُ وَلَا تَجْزَعَنَّ إِنَّ قَلْبِي صَفَحَ
إِذَا مَنْ أَحَبُّ جَزَائِي الصَّدُودَ هَتَفْتُ عَفَا اللَّهُ عَمَّا اجْتَرَحَ

... صَحْوَتُ فَلَا الطَّيْفُ يَحْنُو عَلَيَّ وَلَا نِعَمٌ تُشْتَهَى أَوْ مَنَحَ
وَعُدْتُ إِلَى وَحْدَتِي رَاضِيًا أَرَى فِي الْأَسَى غَايَةَ الْمُتَرَحِّ

أنور العطار

يقظة الهوى

تعالى قد سجا الليلُ ونام الدوح والطيرُ
تعالى قد حلا الوصل وطاب السهد والسمر
تعالى ضاحكى البدر
تعالى نالخي الزهرا

تعالى طارحي الجدول نشيد الأعصر الداوى
تعالى ترشف السلسل ونروى روحنا الداوى
شجتنى رنة العود وصوت الناي أغرى بي
تعالى أنتِ معبودى وهذا الروض محرابى
تعالى فجرى قلبى
ينابيع من الحب

تعالى عطرى النرجس بعطر الورد والشوق
تعالى نورى الحندس بنور الحب والعشق
أيا ليل ألا أمله معنى فيك ذا مأرب
وقل للصبح لا يقبل وقل للنجم لا يغرب
هلمى نفحة الورد
هلمى ملكة الخلد

هلمى قبل أن يجفو ويمضى الليل والبدر
هلمى فالهوى يغفو اذا ما استيقظ الفجر
البصرة فنى سط العرب

لَقَدْ صَاغَنِي اللَّهُ جَمَّ الشُّجُونِ وَيَأْتِي فُؤَادِي إِلَّا الْمَرْحَ
يُبَدِّدُ أَحْزَانِ قَلْبِي الرَّجَاءَ وَيَمْحُو صَفَائِي طُولَ التَّرَحِّ
أَهْدِيهِدُ أَوْجَاعِي الصَّارِخَاتِ وَأَرْقِيهَا بِالْمُنَى وَالْمَلَحِ
سَكِرْتُ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى انْتَشَيْتُ فَلَسْتُ أَبَالِي بِخَمْرِ الْقَدَحِ
كَأَنِّي أَخُو سَفَرٍ لَاغِبٍ تَهَالِكُ مِنْ جَهْدِهِ وَارْتَنَحِ
فَطُوبَى لِحَرْحِي إِمَّا اسْتَفَاضَ وَطُوبَى لِقَلْبِي إِمَّا انْجَرَحَ
تَعَلَّمْتُ بِالنُّوحِ سِرَّ النِّعَمِ وَأَذَرْتُ بِالشُّجُوِّ مَعْنَى الْفَرَحِ

سَجَّتْ لَيْلَتِي وَتَرَامِي الظَّلَامُ وَمَالِي عَنْ خَوْضِهِ مُنْتَدَحِ
وَقَدْ رَوَّحَ الْغَيْبُ النَّارِحُونَ وَأَلْقَى الْمُسَافِرُ عَيْنًا فَدَحِ
وَفَضَّ الْكَرَى سَامِرَ الْعَاشِقِينَ وَلَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ إِلَّا شَبَحِ
يَحُومُ عَلَى عَالَمٍ نَائِمٍ رَمَى بِمَتَاعِهِ وَاطْرَحِ
يُطَوِّفُ فِي اللَّيْلِ مَا يَأْتِي يُنَاجِي وَيَرْعَى حَبِيبًا نَزَحِ
وَقَدْ سَكَنَ الْغَابُ إِلَّا صَدَى تَوَلَّاهُ مِنْ وَجْدِهِ وَافْتَضَحِ
كَأَنِّي أَصْغِي إِلَى بُبْلُلٍ يُشِيرُ الْمَفَارِحَ إِمَّا صَدَحِ
فَأَحْسَسْتُ دُنْيَا مِنَ النُّعْمِيَّاتِ وَأُفْقًا جَدِيدَ الْأَمَانِي انْفَسَحِ
وَأَذِنِي إِلَى هَمْسَةٍ فِي الدُّجَى وَعَيْنِي إِلَى بَارِقٍ قَدْ لَمَحِ
وَأَقْبَلَ طَيْفُكَ جَمَّ الْجَلَالِ تَدَثَّرَ بِالنُّورِ حَتَّى اتَّشَحِ
مَدَدْتُ يَدَيَّ وَعَانَقْتُهُ فَغَمَغَمَ قَلْبِي وَدَمَعِي شَرَحِ
وَضَاعَ اللَّجَاجُ وَغَابَ الْعِتَابُ كَانَ الزَّمَانُ صَفَا أَوْ سَنَحِ
قَرَأْتُ بِعَيْنِيهِ فَرَطَ الْحَنِينِ وَشَجُّوا يُذِيبُ إِذَا مَا قَدَحِ
وَعَايَنَ بِي غَمَرَاتِ الرَّدَى تَرَفُّ عَلَى هَيْكَلٍ قَدْ جَنَحِ
فَاطْرَقَ مُسْتَعْبِرًا نَادِمًا وَبَانَ عَلَيْهِ الْأَسَى وَاتَّضَحِ

هنري دو منتزلان

Henry de Montherland

بقلم علي كامل

لمحة عن أدبه وفنه

منحت الأكاديمية الفرنسية جائزة الأدب الكبرى للكاتب الشاب هنري دو منتزلان ، فارتفع بذلك اسمه إلى مصاف أكبر الكتاب الفرنسيين المعاصرين ، وتنهت الأذهان إلى الطابع المخصوص الذي يمتاز به أدبه كفن من فنون القصة الفرنسية الحديثة :

وهنري دو منتزلان كاتب من كتاب الشباب الذين تفتحت عيونهم على ضوء هذا القرن العشرين . ولد عام ١٨٩٦ ، ودخل مدرسة سانت كروا دو نوبي . ولما شبت الحرب الكبرى خرج من المدرسة ليشارك فيها وجرح جروحاً بليغة . وكان طبيعياً أن يعود منتزلان وقد ملأت نفسه نزعاً التشاؤم والثورة ، فقد هجر مدرسته ليخوض غمار المجزرة البشرية الكبرى وهو لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ، فعانى فيها أشهراً من الحرمان والتضحية لم يجد لها مبرراً أمام عقله الذي يفكر وقلبه الذي يحس ، كما يفكر ويحس كل أديب فنان ينزع نحو مثل عليا في الحب والرحمة والأخاء عاد منتزلان من الحرب ضائع العزم محطم الآمال . وكان استعداد الأدبي قد ابتداءً يتفتح على ضوء تجاربه ومحنه السابقة ، فانصبت آلامه وثورته في أدبه تلمسها من بين خفايا السطور ، وكانت إنسانيته الحزينة تدفعه — كغيره من كتاب الشباب الذين خاضوا غمار الحرب — لوصف أهوالها وما جرت وراءها من التدهور الأخلاقي والفكري . كذلك فان (أنانية الفنان) التي تغمره كانت تأبى عليه أن يضحي بشيء دون أن ينال على تضحيته جزاء يبررها ويلتمس منه العزاء . لذا لم يغفر منتزلان لأتمته وللمجتمع تضحيته الكبيرة حين جرفته العاطفة الوطنية كغيره دون وعي إلى ميدان القتال ليتعذب شر عذاب ويعود جريحاً بين الحياة والموت فاقد الأمل في إتمام حياته المدرسية .

ولقد كان هذا الشباب المذب دافعاً لهنري دو منتزلان إلى أن يهيم بتلك السن التي ضحى وتآلم فيها ، فأصبح يمجّد سن الشباب (تلك السن — كما يقول — التي لا تعترف بجميل . سن القلب والنفس . نجم الحياة المتألق) . ولقد تدرج منتزلان من ذلك إلى الغرام بالألعاب الرياضية لأنها المظهر الذي تتمثل فيه حيوية الشباب وجبروته ، ولأنها الوسيلة لأطالة عهد الشباب إلى أبعد مدى مستطاع و (أدب الألعاب الرياضية) فن حديث جداً في الأدب

الفرنسي . وترستان برنار هو صاحب الفضل الأول في تغذية القصة الفرنسية بالأفكار الرياضية ومعالجة شئونها ووصف أبطالها ، وكان يحب الكتابة عن ألعاب الملاكمة وأبطالها كما في قصته Nicola2 Bergère على أن هذه الحركة ظلت بطيئة الخطر ، ولم يتعد نشاط قادتها القليلين الكتابة في الصحف والمجلات ، وإخراج عدد قليل من الأعمال الأدبية التي لم تكن ذات قيمة تذكر . . إلى أن كانت الألعاب الأولمبية عام ١٩٢٤ فنشط أنصار (أدب الألعاب الرياضية) وأرادوا أن يدخلوا الفنون الرياضية في القصة الطويلة والقصيرة وفي الشعر أيضاً ، وكثر عددهم واتسعت مدرستهم وأصبح كل منهم متخصصاً في الكتابة عن فن من فنون الألعاب الرياضية ، فمنهم من هام بالسيارات مثل هنري كستما كرز Kistemackers كما في قصته M. Dupont Chauffeur ومشيل كورداي Kordoy في قصته Nonsieur. Nadrme et L'auto واكتاف ميربو Mirbeau في قصته الشهيرة La 628-E8 التي تعتبر في نظر النقاد أروع قصة في (أدب السيارات)

ومنهم من ولع بالألعاب كرة القدم مثل جان برنييه Bernier في قصته Tête de mêlée ولوي هنري دستل Destel في قصته Desroches footballer وتعتبر قصة L, Histofre de quinze hommes لما رسيل برجييه Berger خير ما كتب في (أدب كرة القدم)

وهناك غير هؤلاء الكتاب عدد كبير من أنصار هذه المدرسة جعلوا من شخصيات قصصهم أبطالاً لفنون رياضية أخرى مثل سباق الخيل والطيران وغيرها.

وهنري دو منتزلان يعتبر اليوم زعيم الأدباء الشباب على الإطلاق ، وأدب الألعاب الرياضية على الخصوص . وقد برع في الكتابة عن المصارعة . وسافر خصيصاً إلى إسبانيا وتعلم طريقة مصارعة الثيران

Les Cilibataires (العزاب) .. Mauresque .. وكانت آخر قصصه قصة (العزاب) ..
والآن قد يتساءل القارئ . كيف يبشر منتزلان بقيمة
الألعاب الرياضية ويخصص أدبه لخدمتها والدعوة لنشرها وهو الناقم
على مظاهر العنف ، الثائر على نظام الجندية والحرب ، الداعي الى
الأخاء والمحبة والتعاون ؟ ومنتزلان نفسه يحس بالتناقض الظاهر
بين طبيعته الثائرة المتمردة وبين نظام الألعاب الرياضية الذي
يدعّر اليه وما فيه من معاني الترف البرجوازي . على أنه يقبل ذلك
كارهاً غير مرتاح الضمير . يقبله كوسيلة لتحقيق فلسفته التي
ترى في الألعاب الرياضية — كما ذكرنا — وسيلة لأبراز الشخصية
والسمو بها على سائر الشخصيات التي تحيط بها . والواقع أن
منتزلان قد أجاد تصوير فكرته بطريقة غاية في الابداع . فأنت
تلمح من خلال شخصيات قصصه كيف تفتح الشخصية وتسد
حين يصبح صاحبها بطلاً من أبطال الرياضة . وكيف يغمر صاحبها
النشاط والحيوية وعبادة البطولة التي تدفعه للاستهداف للموت
راضى النفس مرتاح الضمير

وأدب منتزلان أقرب إلى الرومانتيكية منه إلى الواقعية وهو
في ذلك يقول (إن الواقع والحقيقة تقع عندى في المرتبة الثانية)
وإذا كان كل كاتب لابد أن يتأثر بروح بعض من سلفه من
الكتاب ، فإن بلزاك وشاتوبريان يطبعان أدب منتزلان بطابع
لا يمكن إنكاره وتناسيه

ويمتاز هنرى دو منتزلان بأسلوبه الرائع ، فثروة الألفاظ وحسن
اختيارها وأدائها ، والموسيقى السامية التي تلبس عباراته فتعبر عما
يدوى بين أرجاء نفسه من النزعات والعواطف هي أظهر ما يميز
فنه وشخصيته بين الكتاب الفرنسيين المعاصرين .

على طمس

مجموعة السنة الأولى للرسالة

لدى الادارة مجموعات مجلدة من السنة الأولى للرسالة تباع
بخمسة وثلاثين قرشا غير أجرة البريد في مصر وبخمسين قرشا
في البلدان الأخرى

ودرس نفسية أبطالها وأخلاقهم ثم عالج ذلك في قصته Les Bestiaires
كان أول أعمال منتزلان كتابه La Relève du Matin الذي
كتبه عام ١٩١٦ وظهر عام ١٩٢٠ وهو قطع من الشعر المنشور
يصف فيها ذكرياته عن الحرب والمدرسة التي كان يتعلم فيها . وفي
عام ١٩٢٢ ظهرت قصته Le Songe وفيها يمجّد الألعاب الرياضية
والصداقة التي بين الأبطال الرياضيين . تلك الصداقة التي يضعها
(البان) بطل القصة فوق الحب . وفكرة (البان) عن الحب هي
فكرة الكثرة العظمى من أبطال الرياضة الذين يقعون فريسة النزاع
الدائم بين ندائين : نداء القلب ونداء الواجب الرياضى الذي يطالبهم
بالابتعاد عن النساء كيما يحتفظوا بعناصر القوة فيهم . وينتهى بهم
الأمر الى انتصار النزعة الرياضية وعبادة القوة والمجد فيتضاءل
مركز المرأة في نظرهم . وهم لذلك لا يؤمنون بالحب العاطفى . فالحب
في نظرهم ميل جسدى اذا ما تحقق مات ما يسميه الناس بالحب ،
ولذا ترى (البان) يرفض حب القلب بقسوة

ولألبان هذا رأى غريب الى حد ما . فهو يقول إن العالم
خاضع لفلسفتين : فلسفة النساء وفلسفة الرجال . فالأولى تتمسك
بالديموقراطية ، أما الثانية — وهى التي يؤمن بها بعناد — فهى
تتشبث بالماضى المجيد وبالقوموية .

وفي قصة le Paradis à l'ombre des épées (١٩٢٤) ترى
منتزلان يبرر اهتمامه بالألعاب الرياضية إذ يعتبرها مرحلة من
مراحل تحقيق الشخصية ، على أن فكرته في علاقة الرياضة
بتكوين الشخصية تتكرر بشكل أقوى بروزا في قصة (مصارعى
الوحوش) Les Bestiaires (١٩٢٦) . إذ يعرض لنا منتزلان نوعاً
من أنواع المخاطرة الجريئة ، تلك التي يستهدف لها مصارعو الثيران
يعرضها مصاغة في قالب بارع يدفعنا لاحترام أولئك المصارعين
البواسل الذين يغامرون بحياتهم حباً في السيطرة وإظهاراً للقوة
وامتحاناً لشخصياتهم التي لا تعتبر كاملة في نظرهم إذا عرفت
للوجل معنى !

وقد كتب منتزلان في هذه الفترة القصيرة من حياته الأدبية
عدداً كبيراً من القصص أهمها عدا ما ذكرنا قصة Aux fontaines
du Désir (١٩٢٧) و Pages de Tendresses (١٩٢٨) و La Petite
Infante de Costille (١٩٢٩) و La Rose des Sables و Hispano

العلوم

قصة الراديوم :

لم يكن الكشف عن الراديوم من هذه الاكتشافات التي أتت عفواً وكاد مكتشفها يتعثر فيها أثناء سيره في عمله ، كما حدث للأستاذ الألماني « رنتجن » عند كشفه عن الأشعة التي تعرف باسمه ؛ ولا من تلك الاكتشافات والاختراعات التي كأنه قد أوحى بها إلى أصحابها ، كما حدث للأستاذ « وياسون » عند تفكيره في صنع « الغرفة القائمة » ، وهي الجهاز الذي يمكننا من رؤية مسار الدقائق المتحركة التي لا يمكن رؤيتها بالعين ولا بأقوى ميكروسكوب ^(١) . بل كان من هذه الاكتشافات التي عمل لها أصحابها وكانوا يتوقعونها نتيجة لأبحاثهم الرياضية أو الطبيعية ، كما حدث عند البحث عن السيار « نبتون » فقد رآه « لفريره » بالرياضة قبل أن يراه « جال » بتلسكوبه .

اذن لا بد أن يكون قد سبق الكشف عن الراديوم دراسة بعض الظواهر التي مهدت السبيل لظهور هذا العنصر ، وهذا ما أود أن أسرده الآن مرتباً ترتيباً تاريخياً

في سنة ١٨٩٥ ، وهي السنة التي ارتبط فيها « الكوريان » بالزواج ، كان الأستاذ « رنتجن » يمرر التيار الكهربائي في الأنابيب المفرغة تقريباً من الهواء ، وهي المعروفة بأنابيب « كروكس » ، وذلك للكشف عن أشعة غير مرئية للعين . فلاحظ أن لوحاً مغطى بطبقة مومضة — وقد وضع عفواً بجوار الأنبوبة — قد تألق وأومض وهو في الظلام . فاذا انقطع التيار انقطع الوميض . هذا الوميض يحدث لمواد معينة إذا سقطت عليها أشعة الشمس ، وبالأخص ما كان منها بعد البنفسجي ، وامتصت جزءاً من الطاقة الضوئية ، ثم أخذت إلى الظلام . فالطاقة الممتصة تنطلق ببطء ، وتومض المادة حتى تزول الطاقة

(١) الجهاز عبارة عن صندوق يحتوي على بخار ماء دون التشبع بقليل ، فاذا برد هواء الصندوق وأطلقت الدقائق فإنها في انتقالها تمزق الذرات فتتأين وتصبح مراكز لتكاثف البخار . فنرى خطأً أبيض من بخار الماء المتكاثف على طول الطريق الذي أخذته الدقائق المتحركة

مدام كورى وقصة الراديوم

١٨٦٧ — ١٩٣٤

للأستاذ مصطفى محمود حافظ

مسير مدام كورى :

توفيت مدام كورى في صباح الرابع من شهر يوليو الحالى بعد أن نالت من النجاح في حياتها العلمية والعملية ما لم تنله أخرى من قبل ، فانطفأ ذلك السراج المنير الذي أضاء سبيل بعض علماء العصر الحديث في الوصول إلى أخطر انقلاب علمي حديث ، وهو النظرية الحديثة في تركيب المادة

ولدت ماري سكلود وفسكا في فارسوفيا عاصمة بولونيا في ٧ نوفمبر سنة ١٨٦٧ ، ولكنها نزلت عن وطنها الأول إلى وطنها الثاني فرنسا لأسباب سياسية . فذهبت تطلب العلم في السوربون ، وقد اضطرها الفقر إلى الخدمة في معامل المعهد ، فكانت تغسل الزجاجات وأنابيب الاختبار لتنال من ذلك ما يساعدها على تسديد نفقات التعليم

تعرفت بالمسيو « پير كورى » الذي كان يعمل في السوربون هو الآخر ، وقامت تساعده في أبحاثه التي كان يقوم بها في ذلك الوقت في الكهرباء وخواص الأجسام المغناطيسية في درجات الحرارة المختلفة . وقد انتهى بها هذا الارتباط الذي ابتداء في العمل إلى الزواج به في سنة ١٨٩٥ . وقد ظلا يعملان معاً أحد عشر عاماً توصلا فيها إلى الكشف عن عدة عناصر أهمها « البولونيوم » و « الراديوم » . وقد كشف الأستاذ الفرنسي « بيمون » عن وجود عنصر الراديوم مستقلاً عنهما ، ولكن اسمه لا يكاد يقرن باسميهما عند الكلام عن الراديوم إلا في القليل النادر

المخزونة . يحدث هذا إذا عرضت هذه الأجسام إلى أشعة الشمس ، ولكن لوح « رنتجن » لم يتعرض تعرضاً مباشراً لأشعة الشمس ولا للأشعة الخارجة من أنبوبة « كروكس » لأنها كانت مغطاة بورق أسود يمنع نفاذ كل الأشعة التي كانت معروفة في ذلك الوقت ، ولكن مادام اللوح قد أومض فيجب أن يكون « رنتجن » قد توصل إلى أشعة غير معروفة من قبل ويمكنها النفاذ من الأجسام المعتمة ، وقد سماها رنتجن « أشعة اكس » أو « الأشعة السينية » أو « الأشعة المجهولة » . ولكن عدم معرفته لكُنه هذه الأشعة لم يمنعه وغيره من دراسة خواصها ، فعرف أنها تخترق الصفائح الرقيقة المعدنية ، وأن مقدار نفاذها من هذه الصفائح يختلف باختلاف المعادن نفسها ، وأنها تؤثر على الألواح الفوتوغرافية وتلحق عليها ظلالاً للأجسام المعتمة التي توضع بين مصدر الأشعة واللوح الفوتوغرافي ، وأنها تجعل الغازات موصلة للكهربائية ، وأنها تضييع شحنة الأجسام الكهربائية

هذه هي نتائج التجارب الأولى التي أجريت على « أشعة رنتجن » في أواخر سنة ١٨٩٥ ، وفي السنة التالية فكر أحد علماء فرنسا وهو الأستاذ « هنري بيكرل » في شيء آخر وهو : إذا سقطت « أشعة رنتجن » على جسم مومض فانه يومض ويتألق ، فهل العكس صحيح ؟ هل المادة بعد تعرضها لأشعة الشمس ثم تركها تومض في الظلام ، تخرج « أشعة اكس » أو أشعة نفاذة مثلها ؟ للإجابة على ذلك السؤال اشتغل « بيكرل » بأملح الأورانيوم المومضة ، فتركها في الشمس مدة ثم لفها في ورق أسود ووضعها في الظلام بجوار لوح فوتوغرافي ، فوجد بعد مدة أن اللوح قد تأثر . إذن هناك أشعة خرجت من ملح الأورانيوم المومض ونفذت من الورق الأسود ، فهي كأشعة رنتجن في ذلك ، وقد وجد لها أيضاً بقية الخواص المعروفة لهذه الأشعة . ولكن استمرار البحث بين له أن هذه الأشعة الخارجة ليس لها علاقة البتة بالوميض كما كان يعتقد . فالوميض يضعف عادة مع الوقت ، ولكن هذه الأشعة النفاذة لم يكن ليعترها الضعف بمقدار محسوس . أذاب الأملاح المومضة وبلورها في الظلام دون تعريضها لأشعة الشمس فوجدها تخرج نفس الأشعة . أخذ أملاح الأورانيوم غير المومضة فوجدها تخرج نفس الإشعاع النفاذ . جاءت بعد ذلك الخطوة الثالثة التي كانت من نتيجتها

الكشف عن « المواد المشعة » أو المواد الراديوية^(١) انقسم العلماء بعد تجارب « بيكرل » إلى فريقين : الأول ذهب يبحث عن ماهية الأشعة التي تصدر من أملاح الأورانيوم ، والثاني يبحث عن مواد أخرى لها نفس خواص أملاح الأورانيوم ، وقد تزعم هذا الفريق « مدام كوري » وزوجها ، بعد أن أبدت رأيها في مبحث الفريق الأول من العلماء بأن قالت : إن « الفعل الإشعاعي » لأملاح الأورانيوم راجع إلى خاصية في المادة لم تعرف بعد ولا تشبه في ذلك أشعة رنتجن . وأول ماوصلت إليه « مدام كوري » في بحثها أن إشعاع أملاح الأورانيوم « خاصية ذرية » . أي أن مقدار الإشعاع يتوقف على مقدار الأورانيوم أو عدد ذرات العنصر الموجودة في المادة المختبرة ، وليس له أية علاقة بالمواد الأخرى الداخلة في تركيب الملح . وإلى ذلك يعزى سر نجاحها في الكشف عن مادتين مشعيتين أخريين

وجدت بقياس الفعل الإشعاعي لبعض المواد التي تحتوي الأورانيوم أن قوة إشعاعها تفوق ما ينتظر أن يكون ، على حساب أن الموجود في المادة أورانيوم فقط . فلو كان الفعل الإشعاعي « خاصية ذرية » كما وجدت هي فلا بد أن توجد مادة أخرى أقوى في فعلها الإشعاعي من مادة الأورانيوم نفسها . وعلى هذا الأساس بدأت « مدام كوري » تعمل لكي تفصل هذه المادة الجديدة . وقد شجعته حكومة النمسا على المضي في بحثها بأن أهدت إليها طناً من المعادن المحتوية على أملاح الأورانيوم المستخرجة من « بوهيميا » . ففصلت بالتحليل كل الأورانيوم الموجود في الخامات ، ولكنها وجدت أن الباقي كان أشد فعلاً وإشعاعاً من مقدار الأورانيوم المستخرج بأربع أو خمس مرات . فاستخرجت ملح البزموت الموجود في الخامات فوجده متحداً مع مادة فعالة مشعة سميتها « بولونيوم » نسبة إلى وطنها الأصلي « بولونيا » . ثم استخرجت ملح الباريوم الموجود فيما تبقى من الخامات فوجده متحداً مع مادة مشعة أخرى سميتها « راديوم » أو « المشع » ، وهي تسمية موفقة ، لأن هذه المادة الجديدة تفوق في إشعاعها « الأورانيوم » بمقدار مليوني مرة إذا قورنت به وزناً بوزن . وقد أعلنت « مدام كوري » عن هذا

(١) الأفضل تسميتها المواد المشعة لأن اسمها Radioactive Substances

مشتق من كلمة Radius اللاتينية ومعناها « شعاع »

صدمته عربية ومريت عليه فقتلته لساعته . وقد أثر ذلك في زوجته حتى خيف أن تترك الاشتغال بالعلوم بعد تلك الفاجعة ، ولكنها تشجعت واستعانت بذلك الصبر الذي لازمها في أبحاثها العلمية الشاقة . وقد عينت استاذة للطبيعة في السوربون مكان زوجها . وقد تمكنت « مدام كورى » من فصل عنصر الراديوم من أملاحه ، وهى عملية شاقة لأنه سريع التحول الى الايدروكسيد ، وعينت وزنه الذرى فوجدته ٢٢٥ ، ولكنها تمكنت بعد ذلك من تصحيحه الى ٢٢٦,٢ ، ثم وجدته « ثورب » ٢٢٧ . وقد نالت من أجل ذلك جائزة نوبل فى العلوم الكيماوية ، وبذلك تكون قد نالت جائزة نوبل مرتين وهو ما لم يظفر به عالم من قبل .

تأثير الراديوم في ضلوع الجسم :

استخدم الراديوم فى بحوث نظرية وعملية . ومن النظرية الكشف عن كيفية تركيب المادة وتحطيم الذرة . كذلك تقدير عمر الكرة الارضية بالاستعانة بما يوجد من الراديوم بين الصخور فانه يتحول ذاتيا الى مواد أخرى تنتهى بالرصاص بنسب معينة فى أزمنة معينة . ومن البحوث العملية التى يستخدم فيها الراديوم معالجة بعض الاورام الخبيثة مثل « السرطان » . وأول من عرف تأثير الاشعاع الخارج من المواد المشعة على جلد الانسان وخلاياه هو « بيكرل » فى سنة ١٩٠١ . ولكنه دفع ثمناً لذلك التهاب جلد صدره زمناً طويلاً . فقد كان يحفظ أنبوبة صغيرة بها مواد مشعة فى جيب صدره ، فاصيب فى مدة أربعة عشر يوماً بالتهاب جلدى حاد تحت موضع الأنبوبة ، سمي « حرق بيكرل » ومنذ ذلك الوقت بدأت البحوث ترى فى تأثير الراديوم على الخلايا المريضة فى الجسم ، فافتتح فى سنة ١٩٠٦ فى باريس « العمل البيولوجى للراديوم » . وفى سنة ١٩٠٩ افتتح مركز يماثله فى لندن ولكن لا يزال النجاح غير كامل فى استخدامه للعلاج ، وان كان موثوقاً به فى الاضرار بالخلايا السليمة اذا أسئء تعريضها اليه .

وفاة مدام كورى

ظلت « مدام كورى » تحاضر فى السوربون ، وتجرب بحوثها العملية حتى هذا العام . فاصيبت بفقر فى الدم وانتقلت الى مصح حيث ماتت فى الساعة الرابعة من صباح ٤ يوليو سنة ١٩٣٤ بعد أن خلعت اسمها فى صحائف المجد .

[البقية فى أسفل الصفحة التالية]

الاكتشاف العظيم فى رسالة قرأتها أمام « أكاديمية العلوم » فى باريس سنة ١٨٩٨

وقد أثارت رسالتها الرغبة فى نفوس كثير من العلماء للبحث عن ماهية الاشعة المنطلقة ذاتيا من المواد المشعة ، وقد كان من قادة هذا البحث سير « جوزيف تومسون » وسير « إرنست رثر فورد » (وهو الآن لورد رثر فورد) . فلم تأت سنة ١٩٠٠ حتى كان من المعروف أن هناك ثلاثة أنواع من الاشعاع تصدر عن المواد الراديومية .

الأول — اشعة لا تقدر على النفاذ من ورقة رقيقة ، وقد سميت « الاشعة الالفية » . وقد درسها « رثر فورد » فى المدة الواقعة بين سنة ١٩٠٣ ، ١٩٠٩ فعرف أنها ليست أشعة بل دقائق متحركة بسرعة كبيرة ، وأنها مشحونة بشحنة كهربائية موجبة ، وأنها عبارة عن ذرات غاز الهليوم الذى تملأ به المناطيد الحديثة . وقد استخدم « رثر فورد » هذه الدقائق كقذائف يرمى بها الذرات فيحطمها ، وكان من نتيجة بحوثه فى ذلك أن وضع النظرية الذرية الحديثة ، القائلة بأن الذرة عبارة عن نواة متركزة فى الوسط موجبة التكهرب ، يدور حولها الكترونات سالبة .

الثانى — أشعة يمكنها النفاذ من ألواح من الالومنيوم سمكها بضعة مليمترات ، فهى أكثر نفاذاً من الاشعة الالفية وقد سميت « الاشعة البائية » . وفى سنة ١٨٩٩ تمكن « بيكرل » و « جيزل » و « كورى » من معرفة أن هذه الاشعة تنحرف بتأثير المجال المغناطيسى ، فهى ليست أشعة بل دقائق كهربائية سالبة .

الثالث — أشعة أشد نفاذاً من سابقتها كشفها « فيار » فى سنة ١٩٠٠ ، وسميت « الاشعة الجيمية » ويمكنها النفاذ من ١٥ بوصة من الصلب أو ٦ بوصات من الرصاص . وهى من نوع أشعة رنتجن .

وفاته بير كورى :

انهالت على « الكورين » التهانى والاسئلة بعد كشفهما عن الراديوم . وفى سنة ١٩٠٣ منحتها الجمعية الملكية بلندن مدالية « دافى » . وفى نفس السنة قسمت جائزة نوبل للعلوم الطبيعية بينهما وبين « هنرى بيكرل » . وقد عين « كورى » استاذاً للطبيعة فى السوربون ، واختير فى سنة ١٩٠٥ عضواً فى « أكاديمية العلوم » بباريس . وبعد ذلك بعام واحد ، بينما كان خارجاً من الجامعة ،

القصص

من الواقع

طارق الليل

للأستاذ أديب عباسي

ظاهراً ، ونكفى عليهم بالسمع زهفه لنتقط ما يتسارون به
ويتهامسون . فلم يكن يفوتنا شيء من أحاديثهم عن الحرب ، وما
يقدرونه لها من استطالة ، وما يترقبون من مفاجآت ، وما يخشون
من عواقب ، وما يتوجهون به من عطف ، وتمنى الانتصار
لهذه الدولة أو لتلك .

على أن أظهر ما كان يبدو من آثار الحرب هو ما كنا نلمحه
من مظاهر الفاقة والحاجة الى الغذاء ؛ وهو أثر ليس للتجمل
والابتسام المقصور عليه حيلة . فالحزن والغضب ، والحب والفرح ،
والبغض والعطف ، والكراهة والحقد والخوف ، جميعها يستطيع
المرء بالمران والممارسة أن يروض نفسه على إخفائها ، بل والظهور
معه في عكس مظاهرها الصحيحة . ولكن الجوع اذا أزم
لا يستطيع وجه أن يخفيه مهما رُزق صاحبه من قدرة على الاخفاء
وحيلة في التمويه .

أقول : كان هذا أكثر مظاهر الحرب بُدواً عندنا وأشدّها
بروزاً : وماذا ينتظر ممن كان في سننا وفي مثل خبرتنا غير هذا ؟
وهل كان بوسعنا أن نستشرف من حوادث ذلك النضال غير هذا
الأثر الذي لم يستجد علينا مع الحرب غيره ؟ في الحق أننا لم نكن
نعي من معاني تلك الحرب في ذلك الحين سوى أنها شدة تقاسي
فيها المعدة وتوابعها أشد ما يقاسي ، وهي نظرة لم تكن من الضحولة
وقرب الغور على قدر ما حسبنا لها فيما بعد ، حينما بدأنا نقرأ عن
الحرب في بطون الكتب وفي ثنايا الخطب ! وهذا في الحق
مما يُحسب للطفولة من بداهة مسددة وإلهام صادق . ومن منا
يشك بأن أقسى ما قاساه الناس عموماً في الحرب هو الجوع ، حتى
بين الجنود الذين كانت تشويهم نيران المدافع وتجزئهم قذائفها !

أؤينا الى فراشنا ليلتئذ على هدهدة قبضة من الأخبار المتناقضة
عن الحرب مما ترشّح الى البلدة النائبة . وكنا نتلقى هذه الأخبار

كان ذلك في ليلة من ليالى الحرب الكبرى وفي شطرها
الأخير ، وكنا يومئذ لا نعلم من أهوال ذلك الصراع العنيف إلا
ما يستطيع الصغار — وما رُكّب في رءوسهم من عقول محدودة —
أن يعلموا . فلم تكن الحرب عندنا إذ ذاك إلا تلك القتره وذلك
الوجوم يعلوان وجوه الكبار ، وإلا ذلك القلق المقيم في اللحاظ ،
وتلك الهمسات يتبادلونها فيما بينهم ، ولا ينون في التلطف حيناً
والمخاشنة حيناً آخر ، ليصرفونا عن الاستماع والاصغاء اليها .
ولكنها كانت محاولات فاشلة ، إذ ليس شيء أعلق بنفوس الصغار
وأخلب للبّهم وألصق بخيالهم وأدعى لفضولهم من حديث يتسارّ
به الكبار فيما بينهم ، ثم يُراد لهم ألا يأمسوا منه بشيء . فكنا
— لنرضيهم ونأمن منا كدّتهم — نأى ونصد عنهم لا عيين

وقد خلفت « مدام كوري » وراءها ابنتها مدام « يوليو »
زوجة العالم الفرنسي الأستاذ « يوليو » . وهي كوالديها شغوفة
بالبحوث العلمية ، وهي تسلك نفس الدرب الذي شقه والداها
من قبل . فقد أجرت مع زوجها في سنة ١٩٣١ بعض تجارب
في اطلاق « الدقائق الالفية » على عنصر « البريليوم » مما كان
من نتيجته الوصول الى معرفة أحد الاحجار البنائية في الكون
وهو « النترون » . فان لازمها التوفيق فسيكون للعلم « مسيو
ومدام كوري » آخران ؟

مصطفى محمود حافظ
مدرس بمدرسة المعلمين بامبابه

الحسنة مجيديات تنقص بضعة قروش تروم بها دفع أجور الطحن في مطحنته ، فيبادرها بهز الرأس مشيراً في أسف الى يمينه التي أقسم والتي ستجره إن هو حنث بها الى الجحيم !

أيقن صاحبنا إذن أن لصاً شديداً جاء يقتحم عليه الدار عنوة ، وإذن فليتحصن ما تيسر له أن يتحصن ، وليتخذ من العدة كل ما يستطيع من عدة ، وليضع من الصناديق وراء الباب ما يضع ، وليأخذ بيده مسدسه محشواً ، وليوسط بينه وبين الباب أمه العجوز يتترس بها ، ففي جسمها الدسم الغني بالشحم واللحم ، وفي قامتها العريضة المديدة وقاء له خير وقاء إذا هم هذا الواغل بشيء من خلف الباب ، وتشجع صاحبنا المحاصر ونادى بصوت كالخشرجة : من الطارق ؟ ! من الطارق ؟ ! فجاءه الجواب زيادة في الطرق ولجاجة في النداء والطلب . وتكرر السؤال الذي جعله الرعب على وتيرة واحدة ، وتكرر الجواب الذي جعله الاصرار على وتيرة واحدة أيضاً .

وقال كبيرنا : ليس هو باللص الذي يخشى . وعهدنا باللصوص لا يقتحمون المنازل على السكان ، بل هم يتسللون اليها في غفوة من الناس وغفلة من الحراس . وهو كذلك ليس بالسائل والعهد بالمتسولين يقرعون الأبواب قرعاً خفيفاً في أبصار غضيضة ، ورؤوس منكسة ، وأصوات خفيضة لا تكاد تبين ، إلا الأغرار منهم الذين لم يجربوا ولم يعرفوا من طباع البشر ما يعرف المتسولون المحربون .

ولم نشأ أن نطيل الحدس والتخمين ، فتوجه كبيرنا إلى الطارق وسأله في جفاء ماذا يريد في ذلك الهزيع من الليل ، ولم ذلك القرع العنيف والنداء الصاخب ؟ فأجاب في نظر شارد وفي غير أناة :

لقد مضى على ثلاثة أيام لم أطعم طعاماً ، فأوشكت أن أهلك وقد طرقت فيمن طرقت حياً من أحياء الاعراب الخيمين في ضاحية البلد الجنوبية على بعد غلوتين أو ثلاث ، فوصفوا لي هذه الدار من البلدة ، وقالوا انك واجد هناك قوتاً ومأوى ليلتك هذه ، وعساي لم أخطيء الاستهداء .

وهم كبيرنا ليدخله بعد الذي عرف من أمره دون أن يزيد في

في كثير من الاستمتاع واللذة . وما هو إلا أن أغمضنا أجفاننا حتى نقلنا من عالم الواقع المنقوص الى عالم الأحلام والرؤى اللذيذة : من عالم الحرمان الى عالم الرغائب المحققة والمتع الدانية . فكان لنا من شهي الحلوى التي حرمتنا الحرب ما نشتهي ، ومن طريف اللعب التي غابت مع الحرب ما نختار . على أنها كانت لعباً من نوع آخر غير الذي ألفنا . فهي لعب صورها مشتقة ومؤلفة من الأوصاف التي كانت توصف بها أدوات الحرب يومئذ : طيارات تثر في الفضاء ، وسيارات تنهب الأرض وتتخطف الأميال ، ودبابات تجوز الوهاد وتتخطى العقبات ، وأمور أخرى شتى . وكنا في يومنا يشن بعضنا الغارات على بعض ، وسلاحنا هذه الأدوات التي أعارها لنا الخيال ، فلم يكن يكلفنا اقتناؤها جهداً ولا نقداً ، إلا أنها متع لم تدم ، وأحلام رؤوت ؛ فقد هبينا مدعورين بعد موهن من الليل على طرق يوالى دراكاً على باب أحد الجيران . وأصخت بملء جوارحي أتبين ضوضاء السيارات وقعقة المدافع ، ورغاء الطيارات ، فيتصل ما بين يقظتنا والنام : وهي الصورة التي تبادرت حالاً الى الذهن بعد ذلك الليل الحالم وبعد تلك الانكسارات والانتصارات التي عاجلناها نياماً .

وأطلت فيمن أطل من خصاص الباب تتبين الأمر ونجتلي الواقع ، وكل في ذهنه — على ما أقدر — صورة تباين ما في ذهن الآخر تبعاً لأول بوادر الخيال المروع والبداهة المجفلة . ولم تلق صعوبة في تبين الطارق ؛ فقد كانت ليلة قرائة فائضة النور كشفت لنا عن شخص في بقية أثواب لا ينفك يقرع الباب بجُمع يده قرعاً فيه عنف وفيه شدة ، يصيح بين الفينة والفينة في نبرات شديدة يطلب فيها فتح الباب ممن كان وقتها وراء الباب أما صاحبنا الذي كان الطارق يقصده بالطرق ، وبهذه الصيغة الآمرة بفتح الباب ، فقد ذهب به الخيال مذهباً آخر . وهل يتجه في مثل هذا الحال الى غير اللصوص خيال من امتلأت صناديقه بالذهب وفاضت بالأصفر الرنان ؟ إن صاحبنا كان على ثروة لا بأس بها في مثل ذلك العهد . فقد كان صاحب مطحنتين ، وكان لا يتخلى عن صاع القمح بأقل من خمسة مجيديات ، ليس من طمع أو جمود عاطفة كما كان يقول ، بل لأنه حلف حلقة لا يبيع الصاع بأقل من هذا المقدار ! فكانت تجيئه المرأة ويدها

فما شبع يرد إلى الحياة ، أو موت أرتاح معه من ذلة السؤال وآلام الجوع . وعولت على أمر . قلت أبادر أصحاب الدار بالعنف والصياح : فان كانت فيهم بقية من رحمة وأثارة من انسانية لم يمنعهم صياحي إذا ما شاهدوا ما أنا فيه ، من الرثاء لحالي والجود على بشيء . وان كانت الأخرى وكانوا كبقية الناس نالني منهم ما أرجو معه أن أضع حداً لهذه الحياة المثقلة . وحياة الجندي — كما قد تعلمون — لا تساوى في هذه الأيام شيئاً ، ولا تعسر على أحد ، ولولاكم — جزيتم خيراً على كل حال — لكانت هذه آخر ليالي من الشقاء .

ولحظت عند هذا الحد من حديث الرجل الدمع يجول في عينيه بين متحير ومتحدر ، يهبط به الحزن لحظة ، وتكفكه الرجولة أخرى . وكأنه آنس مني عطفاً صادقاً عليه وإشفاقاً على ماضيه إليه ، فأقبل على يحدثني ويحدثني شكواه . وأغلب اليقين أنه لم يكن يعتقد أنني مدرك إلى أي الأغوار والاعماق النفسية تنحدر آلامه وأشجانه . إلا أن ذلك لم يكن بمانعه قط عن الحديث . والمرء اذا زخرت نفسه بالألم وأترعها الحزن تحدث إلى كل شيء ، تحدث إلى نفسه ، تحدث إلى سواء ، تحدث إلى الأطفال ، تحدث إلى الحيوان ، تحدث إلى الجماد ، تحدث إلى لاشيء . فكان المرء في ذلك الأناء يمتليء فيفيض بالزائد على ماحوله .

كشف الجندي عن صدره وأراني أثر جرحين أو ثلاثة ، وكشف عن ساقه وأراني مثل ذلك وشرع يقول : أترى يا ولدي؟ هذا بعض نصيبنا من هذه الحرب . هذا بعض ما أصابني . ولكنني كنت كلما أصبت أتقلب على آلامي وأتأمل على نفسي فألوذ بربرة أو اهبط حفرة تقيني زيادة الأذى إلى أن ينصرف العدو أو يزول الخطر ، فأقوم اذا كنت قادراً ، أو أحمل إلى حيث أعالج ، لأعود إلى القتال أمضي عزيزة وأشد بأساً . ولكن الزمن — يا بني — والجوع والخذلان ، قد ذهبت بالكثير من قوانا وصبرنا ، فعندنا لا يهمننا أكننا في الطليعة أم في المؤخرة . وأخيراً رأيتني على غير إرادة مني أتخلف عن الجيش وأهيم على وجهي في غير قصد أو اتجاه ، إلى أن انتهت بي المطاف إلى هذا البلد ثم هذه الدار ، فنالني ما نالني على يدي ذلك العلاج الذي كاد يميتني بهراوته . . . أهذا يا ولدي جزاء هذه الجراح ؟ أهذه خاتمة الجندي الذي يدفع عنكم

سؤاله ، فينال بعض الطعام ويبيت ليلته . غير أنه حدث في هذه اللحظة ماراعنا جميعاً : ذلك أن صاحبنا المحاصر ، بعد أن آنس إلى أصواتنا ولهجة الحديث الذي دار بيننا ، أيقن أن الأمر من الخطورة على غير ما توهم وجسم له الخيال الزائع . ففتح الباب بعنف ظاهر ، والسدس يلمع في قبضة يده والعصا في قبضة يده الأخرى ، ولم يترث لنوضح له جلية الأمر ، بل أقبل على المسكين بهراوته الثقيلة وانهاهال يكيل له بلا حساب حتى كاد يقضي عليه بين أيدينا ، لولا أن لطف المولى وتداركه برحمته فسقط مما ناله بين أيدينا التي جعلنا منها شبه حاجز بين عنف الرجل المهاجم وضعف هذا الطارق . ولم يستطع صاحبنا معها أن يستعمل العصا فاندفع يكيل له بقبضة يده حيثما وجد سبيلاً إلى ذلك من بين أيدينا . وأدرك كبيرنا أي شيء يصير إليه الرجل إذا لم يحل حيلولة تامة بينه وبين مهاجمه المحقق ، ولم تسعفه سنه من أول الأمر في تخليص الرجل ، فاجأ أخيراً إلى أسلوب فيه شيء من القسوة ، ولكنه الأسلوب الذي لم يكن بالامكان ارتجال ما يفضل في هذا الظرف الحرج . فقد أمسك بتلابيب الرجل وجره إلى حيث استطاع أن يوقيه من لكمات مهاجمه الذي أراد أن يثبت لنا بعد ذلك الموقف من الجبن أنه على شيء كثير من البأس والاقدام وبعد أن هدا روع الرجل وتناول بعض الطعام أقبلنا نلومه مشفقين ، وسألناه ما شأنه ولم لم يختبر له غير ذلك الأسلوب الغريب للاستجداء واستدرار العطف . فأجاب عن أسئلتنا جميعاً بقوله :

إنني جندي من فلول الجيش التركي في فلسطين ، طوح بي السير إلى هذه البلاد بعد أن نال مني الجوع والتعب أقصى ما ينالانه من حى . فقد كنت لقلة خبرتي بالطرق أسير من البلد الواحد إلى بلد آخر فأنتهى غالباً حيث أبتدىء ، وأبتدىء حيث أنتهى . وكنت حيناً أصيب طعاماً أو شيئاً شبيهاً بالطعام وأحياناً أمضي ساغباً أياماً لا يخالط الماء في جوفى شيء من الزاد ، وآخر عهدى بالطعام — كما أخبركم — كان منذ ثلاثة أيام . فقد استجديت واستجديت ، مصطنعاً كل أساليب الخشوع وأنواع الضراعة ، ولكن في غير طائل . وأخيراً وصلت ذلك الفريق من الأعراب فوصفوا لي هذه الدار ، فأليت لا أصبر زيادة عما صبرت

المغفل المخدوع

« إذا أصيب الرجل بداء الغفلة فقد التفت من نفسه ، وعاد لا ينظر بعينه ، ولا يسمع بأذنه ، ولا يفكر بعقله »

أولع ملك من الملوك بالجديد من الثياب ، فكان يتأنق في لباسه التأنق كله ، وأصبح لا يرى اللذة إلا في الاغراب فيه ، وكثرة الانفاق عليه ، وما كان يعبأ بعد ذلك بأمر أمته ، فترك الجند هملاً ، وهم حصن الأمة وسلسلتها الفقرية ، واحتقر علماء الدنيا والدين ، وهم مصاييح الكون يضيئون الحياة ، ويبصرون الناس بسبلها المعوجة وطرائقها العجيبة ؛ وكان لا يذهب الى التمثيل حباً فيه ، وإنما ليعرض على الناس زخرف ملبسه وجميل هندامه ، وكان لا يخرج للنزهة ترفيهاً لأعصابه واستمتاعاً بجمال الطبيعة ، وإنما ليدهش من يقابل ، ويشير فيه عاطفتين : العجب من تأنقه ، والاعجاب بذوقه .

مرت الأيام هادئة في حاضرة الملك الواسعة ، وأخذ يأتيها الناس من كل فج عميق . وفي ذات يوم قدم الى الملك لسان متشردان ، ضربا في فنون الاحتيال السهم ، وذهبا في صنوف الخداع كل مذهب ، وتظاهرا أنهما أستاذان مبرزان في النسيج والحياكة ؛ فأقبل عليهما الملك بسمعه وبصره . ثم قال لهما : « أيها الملك العظيم ، إنا نريد أن نقدم لك خدمة جليلة ، إذ أنت بها خليق ، وهي بك أنسب ، إنا نستطيع أن نعد لك ثوباً شفيفاً جميلاً لا يراه عليك إلا من كان مخلصاً لك ، معجباً بك ، أو كفؤاً في عمله ، قديراً عليه » .

فتهلل الملك واستبشر وقال : « لله دركما يا صديق ، ما أكرمكما وما أجمل صنيعكما ، إنني ولا شك أصبح بما تنسجان وتحركان بصيراً بأحوال الخلق جميعاً ، فأعرف من كان لا يحسن عمله ، ولا يصلح للقيام بما وكل اليه ، وأعرف كذلك المخلص من المخادع المداهن ؛ فابدأ من الساعة بهذا العمل الخطير ، وأنا أعرف كيف أجزل لكما العطاء » .

ثم أمر الملك أن يعطيا مبلغاً كبيراً من المال ، وأُخلى لهما قصر رحيب على مقربة من قصر الملك ، ثم انتشر الجند حوله

عدوان الأعداء بدمه وحياته ؟ ! إنني من غدى مسلم نفسي الى أقرب سلطة عسكرية تفعل بي ما تشاء . ذلك خير لي وأبقى . والتفت اليه عند هذا الحد من حديثه وخاطبته متحمساً : نعم ! ذلك أفضل يا عمه . لو كنت محلك ما فعلت غير هذا . انك هناك لا تضرب بالعصى على ما أعتقد ولا تجر على الأرض : ونظر الى المسكين نظرة ذاهلة حزينة وقال :

نعم يا بني ، سوف لا يضربونني بالعصى ، لأن العصى ليست جزءاً من يتخلف عن واجبه في الجندية ! إنما هي قطع من الرصاص صغيرة يدفنونها في أحشائنا أو يولجونها في رؤوسنا ، فنضحى وكأن لم نكن . ولكن يميناً غموساً لن يحول هذا دون ما أنا عازم عليه من غدى !

وُخيل الى كأنني أدركت معنى هذا الكلام الغريب فراعني من الرجل هذا العزم ، ونظرت اليه في رعب ظاهر وذعر متوسل ، وبعد لحظة من الصمت خيل الى فيها أن الرجل يتذكر أموراً ويستعيد صوراً رفع عينيه وقال :

كلا يا ولدي الصغير ! كلا ! سأجاهد اذاً في سبيل الحياة ، سأحاول أن أعيش . إن لي صغيراً في سنك . لقد نسيته حينما أقسمت ، ولكنني الآن أذكره . انه ينتظرني الآن : ينتظر أن يطوقني يديه الصغيرتين . سأعيش ، سأعيش

وانحدر الدمع المعلق في مقلتيه منذ حين ، وذهب يسير في أحاديث وجهه المجمد . وكان بعضه يقع على الأرض وبعضه الآخر تتلقاه كفاه وفيها قدوة من القماش أخذهما من بقية قميص على صدره

وعدت الى فراشي وليس أقر مني عينا ، وليس أدمى مني قلباً كذلك .

أربب عباسي

فهرس المجلد الأول من السنة الثانية

طلب الينا كثير من قرائنا أن نجعل للمجلد الأول من السنة الثانية للرسالة فهرساً خاصاً بمجلده معه . ونزولاً على إرادتهم سنتحجج الفرصة القريبة لطبع هذا الفهرس وتوزيعه

يحرصونهما من اعتداء المعتدين (من غير المخلصين وغير الأكفاء) !
جلس اللسان المحتالان في القصر الجديد ، ونصبا المناسج
والأنوال ، وتظاهرا بالجد في العمل ، والمثابرة التي لا تعرف الملل ،
وطلبا من الحرير أرقه وأنعمه ، ومن الخيوط الذهبية أدقها وأنقاها ،
فجئ لهما بما أرادا ؛ ولما انفردا في المكان وضعوا الحرير والخيوط
وما أخذاه من المال في حقيبتيهما ، وجلسا الى مناسجهما القائمة
يديرانها على لا شيء ، لا خيط عليها ولا قطعة حرير ، يديرانها
بهمة غير محدودة الليل كله ، والملك في قصره ساهر يسمع أزيز
المناسج والأنوال ، وهي لا تضعف ولا تخمد . وأخذ النعاس
يغالب جلالته حتى غلبه وأخضعه لسلطانه ، ولم ينزع عنه حتى
تنفس الصبح ، وجلا الليل جلاء تاماً ، فقام الملك مسرعاً الى
نافذته ، تواقاً الى معرفة ما قد تم ، وأخذ يقلب وجوه الآراء
فيمن يبعث ، فقرر رأيه على رئيس وزرائه ، وما كان أخلص منه
ولا أكفاً في نظر الملك .

كلف الوزير الأكبر بهذه المهمة الشاقة ، فانطلق في سبيله
وائقاً من نفسه ، ودخل على الدجالين الكاذبين فوجدهما يتصببان
عرقاً ، ويديران المناسج الفارغة بالقوة والعزم اللذين يميزان عمل
المخلصين المصممين على النجاح ، فدهش الوزير الجليل وقال في
نفسه : « ماذا أرى ؟ أيمكن أن أكون غير مخلص للملك أو غير
جدير بمكانتي الاجتماعية العالية ؟ أيمكن أني لا أرى ولو قطعة
صغيرة من الخيط أو الحرير على هذه المناسج القائمة الدائرة ؟ لله
ما أشقاني ! » ثم صدر من اللصين سؤال قطع عليه تفكيره
الصامت ، إذ طلبا منه أن يقترب قليلاً من المناسج ويخبرها برأيه
في اتساق الألوان ؛ ودقة التطريز وجمال الأشكال ، ثم أشارا في
الوقت نفسه الى مناسجهما الفارغة .

اقترب الوزير الخطير ووضع منظاره على عينيه ليرى مالم
تبصره عينه المجردة . نظر فلم ير شيئاً . ثم رجع البصر كرتين
فعاد البصر اليه خاسئاً وهو حسير . اتهم الرجل نفسه وكفايته
ودب الحزن في قلبه . وقال في نفسه : لا لا ! لا يمكن أن يعرف
الناس عنى أنني غير مخلص أو غير كفء ، ولن أعترف أبداً أنني
ما رأيت النسيج الشفاف . .

لم يكذ السيد الرئيس يفرغ من خاطره المشجية المضحكة

حتى فاجأه أحد المحتالين بقوله : « سيدى ، يظهر أنك لا تبصر
محاسن ما قد صنعنا . » فأجابه الوزير : « لا أبصره ! ! ومن ذا
الذى يستطيع الابصار اذن ؟ ما أبدع ما أرى وما أدقه ، بنفسى
تلك الألوان المتسقة . وهذه التصاویر الرائعة . . . و . . . نعم
سأخبر الملك سريعاً بهذا البدع وهذا التفنن » فشكره اللسان
شكراً جزيلاً على حكمته وكفايته . وأخذ يشرحان له الأشكال
المختلفة الموهومة . ويذكران أسماء الألوان . ويبينان مواضع
الحسن في ذلك القماش الخيالى . والوزير يصنى اليهما ويهز رأسه
لبعض ما يسمع حتى يسرده على الملك عند عودته حرفاً بحرف
رجع الوزير والههم حليفه الى الملك ، وأخذ يصف ذلك الجمال
الذى سمعه بأذنه . وعجز عن رؤيته بعينه . والملك يترنح عجباً
ومروراً . وفي اليوم التالى بعث الملك ضابطاً من ضباطه الذين
سمعوا وصف الوزير وإعجابه بما شهد . فذهب الرسول ولم ير من
المناسج إلا خشباً قائماً لا شيء فيه . ولكنه اتهم عينيه واتهم
كفايته وأخذ يفكر تفكيراً هو الحريق الداخلى ويقول لنفسه :
« لاشك أنى غير كفء لمكانتى ذات الأجر الكبير . أف
ما أتعسنى ! كيف أعجز عن إبصار مارآه السيد الرئيس وافتتن به ؟
لا يجوز أن يعلم أحد عنى ما أعلمه الآن من نفسى . » ثم ارتفع
صوته فجأة بالاعجاب والمديح ، وعاد إلى الملك يببالغ في الثناء . فازداد
الوزير (وكان حاضراً) اتهاماً لنفسه وكفاءته . وسر من كذبه
الصالح . ثم عزم الملك على زيارة تلك المناسج العجيبة . فقام مع
حاشيته ورئيس الوزراء والضابط الممتاز وذهبوا إلى اللصين جميعاً
دخلوا حجرة اللصين فصاح الوزير الأكبر صيحة العجب
والاعجاب : « ما أجمل ذلك الزخرف . وما أدق هذه الصنعة !
وما أبدع تلك الألوان المتداخلة . وتلك الأشكال المتماثلة . » ثم
صاح الضابط : « يا لله ! ما كنت أحسب قبل اليوم أن فى طاقة
الانسان أن يعمل كل هذا البدع : ثوب شفيف مطرز .
وبالأشكال الجميلة مزخرف . وهو مع ذلك لا تراه إلا عيون
المخلصين والأكفاء ، ولا تلمسه الأيدي ولا تدركه الظنون . »

فوجم الملك وقال في نفسه : « ما هذا ؟ ألا أرى شيئاً ؟ إنها
لصينة كبرى ؟ هل يمكن أن أكون معتوهاً أو غير خليق
بالمالك ؟ لا . لا بد أن أسدل على الأمر ستار الخفاء . » ثم صاح

سيوة

تقع واحة سيوة في صحراء مصر الغربية على الحدود ما بين مصر وطرابلس على مسافة مائتي ميل جنوبي السلوم وأربعمائة ميل غربي وادي النيل .

ويمكن القول أنها الواحة الشمالية من سلسلة واحات تتبع إحداها الأخرى من الجنوب إلى الشمال في صحراء « ليبيا » وكان الأقدمون يسمون هذه الواحات « بالأراضى المقدسة » لأنهم كانوا يعتقدون أن الآلهة منحت هذه البقاع ماء وسط تلك الصحراوات القاحلة ، ولأن هذه الواحات قد حمتها الطبيعة بأن أحاطت كل واحة منها بسلسلة من جبال كلسية تمنع عنها الرمال الدقيقة التي تحملها معها الرياح ، إذ لولا هذه الجبال لغطتها كثبان الرمال وجعلتها في عالم النسيان ، كذلك عيون الماء المتفجرة في هذه الواحات سببت الحياة والرخاء وسط ذلك المحيط القاحل غرب وادي النيل .

تتكون سيوة من عدة واحات صغيرة متجاورة تقع في منخفض من الأرض يبلغ طوله حوالى ثلاثين ميلا وعرضه ستة أميال تقريبا ، وينخفض عن سطح البحر حوالى عشرين متراً تكنفها صحراء جرداء محرقة لا تسقط فيها الأمطار ولقد زارها الاسكندر الأكبر حينما غزا مصر وتبرك بزيارة معبد « جوبيتر آمون » إرضاء للكهنة المصريين ورغبة منه في إظهار احترامه لدينهم

يبلغ عدد سكانها ثلاثة آلاف نسمة ، وهم سلالة أقوام قديمة من البرابرة ، ولا يشبهون أعراب الصحراء في شيء . ولهم لغة خاصة بلهجة ولكنة غريبتين ، ولعلها لغة أجدادهم البرابرة القدماء ، والغريب في أمرهم أنهم يتكلمون بتلك اللغة ، ولكنهم لا يتكاتبون بها ، بل إنهم يتكاتبون باللغة العربية ، ولا شك في أن بقاء هذه اللغة البربرية راجع إلى بعد الواحة عن العمران ، وصعوبة المواصلات بينها وبين الأجزاء الأخرى من القطر فقل اختلاط السكان بالمصريين والأعراب ، بل إن أهالي سيوة لهم عادات خاصة ، وطباع تخالف في جوهرها طباع العرب وسكان وادي النيل

ليس لهذه الواحة تاريخ معروف ، بل إن ماضيها مظلم ، وليس من

« حقاً ما أجل ذلك القماش ! إني راض عنه الرضى كله » ثم ابتسم وحدث في المناسج الفارغة . ولكن هيهات لنفسه الضعيفة أن تنكر وجود شيء أقره رجلان من كبار رجاله ! وانطلق رجال الحاشية يحدقون كذلك ويصيحون : بديع ! مدهش ! نغم ! عجيب ! رائع ! تلك كانت الصفات التي أخذت ترن في أنحاء المكان الواسع . ثم عطف الملك على الحائكين وأجزل لها العطاء ورفعها إلى الدرجات العالية ، وقرر الملك أن يلبس تلك الحلة الرائعة ويسير في موكب نغم في أنحاء المدينة يعرضها على الأنظار . . .

جاء يوم الاحتفال — ذلك اليوم المشهود — فخرج الناس من منازلهم ، وساروا زرافات في الطرق ، حتى فاضت بهم السبل ، وكأن الأرض صفحة كتاب ، سطورها الشيوخ والشباب . أما الملك فقد جرده اللسان من ملابسه إلا قميصه وسرواله ، ثم أوقفاه أمام المرأة ، وأخذا يروحان ويحيثان ، ويرفعان أيديهما ويضعانهما ، ويديران الملك أمام المرأة ليرى الحلة الجديدة ، وأفراد الحاشية وقوف بين متعجب ومسرور ، ثم صاح اللسان أن قد تم كل شيء فتقدم الخدم إلى رفع الذيل الموهوم لتلك الحلة الخيالية ، وسار الملك في طليعة السائرين ، والوزراء والأعيان حوله ووراءه ، والنساء مطلات من المنافذ والشرفات ، والناس منهومون بالنظرات . وما وقعت عيونهم عليه حتى علا الصياح يشق جوف الفضاء : « ما أجل الثوب ، وما أبدع الذيل » . . . ! ! .

وهكذا ظل كل انسان يخدع نفسه ويكذب عينيه ، ظناً منه أنه وحده قد عجز عن رؤية الثوب ، وأن الباقيين يرونه كما يرى بعضهم بعضاً . واستمر الحال كذلك برهة والناس جميعاً خادعون ومخدوعون ، ثم صاح طفل ساذج : « ليس على الملك ثوب جديد ! الملك عريان ! » فبهت الجميع . . . ثم صاح شيخ كهل :

« اسمعوا صوت الحق ، اسمعوا صوت الطبيعة التي لا تعرف اللق والنفاق » . فاغتم الملك غماً شديداً إذ علم أن ما قاله الطفل حق صراح ، يبصره هو ويشعر به ، ثم عاد أدراجه بين سخر الساخرين ، واستهزاء الضاحكين .

سبيل لالقاء أشعة من النور لمعرفة ما إذا قامت بعثات علمية بالحفر في جبالها وآثارها والتنقيب في معابدها وخرائبها حتى يمكن أن يرفع ذلك الستار الكثيف عن تلك المدنية البائدة الغربية والطريق الأكثر استعمالاً للوصول إلى سيوة هو من مرسى مطروح والسلوم ، ويمكن للسيارات الصغيرة الخفيفة أن تقطع ما بين مرسى ومطروح وسيوة في ثمان ساعات . أما السيارات الثقيلة المعدة للتحميل فتقطع المسافة في يومين ، وتقطعها الجمال في سبعة أيام ، ويقطع كثير من أعراب الصحراء المسافة من شاطئ البحر الأبيض إلى سيوة مشياً على الأقدام وهي مسافة لا يستهان بها إذا أضيف إليها ندرة الماء في الطريق .

وكل ما يعيش عليه الأعرابي في الطريق ، قليل من التمر ولبن الناقة وقطرات من الماء ، وبهذه المناسبة أقول إن السيارات لم تبدأ بالسير بين مرسى مطروح وسيوة إلا منذ سنة ١٩٢٦ أما قبل ذلك فالواصلات بين البلدين كانت بالجمال ، غير أنه حدث أن زار الخديو السابق عباس باشا سيوة سنة ١٩٠٥ مع بعض الألمان الذين كانوا ينقبون عن الآثار في مدينة «سانت منياس» القديمة التي تقع في الجنوب الغربي من الاسكندرية وكان بصحبته الهر إيوارت فولز . Ewart Falls وقد قطع المسافة لسيوة على عربة مكشوفة (فيتون) تجرها جياد تستبدل بغيرها كلما أصابها الكلال والتعب ، وهذه هي المرة الأولى التي سارت فيها عربات ركوب في الصحراء في تاريخ سيوة الحديث ، وتألفت حملة الخديو السابق في هذه الزيارة من أربعة علماء من الألمان وعشرين جندياً وإثنين وستين حصاناً و٢٨٨ جملاً لحمل الأمتعة . هذا عدا خدم الخديو الخصوصيين .

وتهم مصلحة الحدود الآن باصلاح الطريق ما بين مرسى مطروح وسيوة ، فهي تزيل الصخور من الطريق وتضع مخلوطاً من خرسانة الأسمنت في المواضع التي يغطيها مطر الشتاء ، ثم إنها أصلحت بعض المستودعات القديمة الرومانية التي تجمع فيها الأمطار وسقفها بأسقف من خرسانة الأسمنت وعملت فيها فتحات حتى يتمكن المارة من أن يحصلوا على الماء بالقاء دلو مربوط في جبل كي يأخذوا ما يشاءون من الماء ، وحتى لا يضيع أى قدر من ماء الأمطار ، وازدادت تلك العناية عقب زيارة حضرة صاحب الجلالة الملك الأخيرة سنة ١٩٢٨ إذ أن مصلحة الحدود تعمل على

إيجاد أكبر عدد من مستودعات ماء المطر في طريق الصحراء بين مرسى مطروح وسيوة لدرجة أن العربي الذي يقطع المسافة سائراً على قدميه يمكنه أن يجد في طريقه كل يوم مستودعاً فيأخذ منه ما يحتاجه من ماء يكفيه طول اليوم ، ومن أكبر هذه المستودعات أو الآبار هو بئر جلالة الملك فؤاد الأول عند البويب وهي منتصف المسافة تقريباً بين مرسى مطروح وسيوة ، وتوجد آبار أخرى في الطريق أذكر منها بئر الكنائس والحجفا وغيرها . يقطع المسافر من مرسى مطروح الصحراء الغربية في رقعة من الأرض متشابهة الأشكال والمنظر لا تغيّر فيها ، فهي رمال صفراء تغطيها قطع صغيرة من الأحجار المتناثرة هنا وهناك ، ويمر في طريقه ببعض التلّول الصخرية القائمة اللون ، ولا يرى إلا سراب الصحراء على امتداد البصر ، ولقد رسمت السيارات دروباً واضحة في الصحراء بحيث أصبح السائقون على إلمام بها بحيث لا يضلّون الطريق كأنما هم يسرون في شوارع البلاد الآهلة بالسكان ، وقبل الوصول إلى سيوة بما يقرب من عشرين كيلو متراً تبدأ العربات بالانحدار في طرق منعرجة وسط الصخور التي تحيط الواحة ، ولا تزال هذه الطرق تنحدر في ميلها تدريجياً حتى تتمكن السيارات في نهايتها من الوصول إلى الواحة نفسها ، وذلك الانحدار طبيعي لأن هضبة الصحراء ترتفع عن سطح البحر ، بينما الواحة نفسها منخفضة عن سطح البحر حوالي عشرين متراً ، وما أن ينتهي ذلك الانحدار حتى ترى أشجار النخيل وقد مالت كل منها على الأخرى وكأنما هي عرائس وضعت على رؤوسها أكاليل من أوراق الربيع الخضراء ، وتراها وهي في وسط الواحة الهادئة الساكنة كأنما تسر كل منها للأخرى أسرار الكون وأسرار وجود الحياة وسط تلك الصخور الصامته الخرساء . ولا شك في أن القادم على سيوة حينما يقع بصره على أشجار الزيتون والنخيل يشعر بالفرق الشاسع بين تلك الصحراء المملة برمالها ودروبها ، وبين تلك الواحة باخضارها ووجود الحياة البالغة فيها ، ثم يستمر السير وسط حقول الواحة وقد أحيط كل حقل بسيياج من جريد النخل الذي لفحته حرارة الشمس فتحول لونه من أخضر زاه إلى أصفر ذهبي ، وبعد مسير بضعة دقائق تصل وسط البلدة عند مركز سيوة .

« يتبع »

الكتاب

رسائل سائر

من بلاد العرب الى بلاد اليونان

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد سليمان

من الأمور اليسيرة العسيرة ، السهلة الممتنعة ، التي تستعصى اجادتها إلا على ذوى الأفهام النادرة ، والأقلام القادرة ، وإن خدعت ظواهرها ، وخيل لأوساط الكتاب أنها هنة هينة ، تستطيع أرباع الأقلام وأنصافها أن تجول فيها وتبرز ، هي تصوير الشعوب تصويراً صادقاً ناطقاً قوياً رائعاً . . . يروى عن سائح فرنسي زار إنجلترا ، أنه لم يكد يقيم بها أسبوعاً حتى حمل القلم وهم بالكتابة عنها ، فلم يقطر قلمه إلا كلمات متقطعة وأسطرار كيكة فلم يشأ أن يرد ذلك الى قصوره وعجزه ، وزعم لنفسه أنها سبعة الايام لا تجمع في الذهن محصولاً من الصور يكفي لاجادة التصوير ، وعول على الإقامة شهراً كاملاً ، فانقضى الشهر واهتز القلم ، وانغمس في الدواة مراراً وجف مراراً ، دون أن يهبط عليه الوحي الذي يرجو ، ولكنه ليس عاجزاً ولا مقصراً ، إنما هو الشهر لا ينفع ولا يجدي كاتباً يريد أن يجيد ، فصبر حتى دار الفلك دورة كاملة ، وانسلخ العام بشهوره الاثني عشر ، والذهن على ركوده والقلم على جموده ، فأيقن بعجزه عن الوصف وارتحل

فليست الكتابة عن الأقطار والشعوب هينة لينة كما يبدو ، إنما هي مرتبة عالية ، تحتاج الى قلب كبير حساس ، يمي ما يرى من الصور وعياً تاماً ويحسها احساساً قوياً ، حتى لكأنه نشأ بينها ودرج في أحضانها ، والى عقل راجح لا يميل به الهوى ، فيزن القول وزناً دقيقاً عادلاً ، والى قلم قد ير ينطق بما يحسه القلب ويحكم به العقل . وقد اجتمعت هذه الادوات الثلاث لدى الاستاذ الجليل الشيخ محمد سليمان ، الذي طوف في أرجاء فلسطين وسوريا وزار بلاد اليونان ، فلم يعوزه ذلك القلب اللاقط الحساس ، ولا غرابة

فهو أبو التلاميذ جميعاً ، الذي وسعت رحمة قلبه ألوف الأبناء ، ولم ينقصه العقل الراجح المتزن العادل ، فقد عرفته منصات القضاء أعواماً وأعواماً ، فاذا ما أحس قلبه واذا ما حكم عقله ، ألفيا قلماً بليغاً ينطقانه في بيان ساحر خلاب .

طوف الأستاذ في تلك الأنحاء ، فأحس كثيراً وعلم كثيراً ، فأملى على القلم إحساسه وعلمه ، فصدع القلم ودبج فصولاً لست أعرف خيراً منها ، أستغفر الله بل ما يدنو منها فيما كتبه الرحالة المتجولون حديثاً ، وأخذ ينشر تلك الفصول تباعاً في صحيفة سيارة ، ثم نظمها اليوم في كتاب ، حتى يطالعها الأخلاف كما قرأه المعاصرون ، فكان هذا الكتاب القيم : رسائل سائر

قرأت الكتاب فراعنتني منه جوانب ثلاثة : التصوير الدقيق ، والملاحظة الصحيحة ، واستخلاص العبرة ، ولو أردت أن أسوق اليك الأمثلة لنقلت اليك الكتاب الذي أدعوك لقراءته من السطر الأول إلى السطر الأخير

على أن في الكتاب هنات يسيرة ، كنا نرجو أن يبرأ منها كالتطويل القليل الفائدة في بعض المواطن ، وقلة عدد الصور ، وهذا القليل لم ينل حقه من الاجادة تصويراً وطبعاً ، وكالأطناب في خالد بن الوليد ، ومن رأينا أن ما يمكن تحصيله وأنت هادىء ساكن في مكتبك ، ليس مما يحسن ذكره في كتب الرحلة ، وبوقوع بعض الأخطاء اللغوية ، أو التي نحسب أنها كذلك ، ففي صفحة ٧ يقول « ظاهرة حقة » ونظن أن الصفة هنا لا تؤنث كقولك رجل عدل وامرأة عدل . وفي صفحة ٣٥ ذكر الريح مذكراً وأظهرها أو يحسن على الأقل — أن تكون مؤنثة . وفي صفحة ٣٨ ذكر « باقة زهر » والباقة لا تكون إلا للبقل ، أما حزمة الزهر فيقال لها طاقة الزهر .

وانما نذكر هذه المآخذ لضرورة ذكرها في مجال عرض الكتاب ، على أنها لا تشوه من جمال الكتاب في شيء ما